

د. عبدالعزيز بن جليدان هاجد الظفيري

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بقسم العقيدة،
كلية الدعوة وأصول الدين، الجامعة الإسلامية

ملخص البحث

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ أما بعد.

فالبحث متعلّقٌ بمسألة مهمة حصل فيها خلل لدى كثير من الناس، وورد ذكرها في كتاب الله تعالى، وهي خوفهم من غير الله تعالى خوفَ السر، وقد دعا الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أقوامهم لأن يخلصوا هذه العبادة لله وحده، وفي هذا البحث تناولت ما يتعلق بالموضوع وفق خطة وضعتها في مقدمة البحث وهي على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم خوف السر وأسماؤه، ذكرت فيها أهم أسماء خوف السر ومفهومه، والفرق بين خوف السر وباقي أنواع الخوف.

وأما **المبحث الثاني**: ففي حكم خوف السر من غير الله تعالى وضرره، نقلت النصوص الدالة على كون هذا الخوف شرك بالله تعالى، وأهم الأضرار الناتجة عن هذا الخوف.

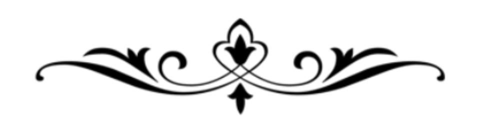
وأما **المبحث الثالث**: ففي أساب الخوف من غير الله تعالى، وقد ذكرت فيه أهم الأسباب المؤدية إلى الخوف من غير الله تعالى، وجعلتها في ثلاثة مطالب وهي: الشيطان. الكذب والحكايات الباطلة. عدم استشعار عظمة الله تعالى.

وأما **المبحث الرابع**: ففي علاج الخوف من غير الله تعالى، وقد ذكرت فيه أربعة مطالب: معرفة أسماء الله تعالى وصفاته. معرفة ما عليه المخلوق المربوب من الضعف والحاجة لخالقه. التوكل على الله تعالى. النظر في سيرة الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين.

الخاتمة، وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث.

د. عبدالعزيز بن جليدان الظفيري

al_samen@hotmail.com



Secret fear for others then Allah – its understanding, ruling, reasons and cure

Dr. Abdulaziz bin Julaydan adh-Dhafiri

Saudi academic, associate professor, at the Department of Creed in the Islamic University

Abstract

All praise is due to Allah and may Allah esteem and send peace to Allah's messenger.

To proceed:

This study deals with an important issue that many people make mistakes in and is mentioned in Allah's book and it is that they fear others then Allah with a secret fear. The prophets called their people to be sincere in their worship to Allah alone. I mentioned in this research issues related to this subject in accordance to the research plan that I mentioned in the preface, and it is as follows:

The first chapter: the understanding of secret fear and its names. I mentioned in this chapter the most important names of secret fear and its concept, as well as the difference between secret fear and the other categories of fear.

The second chapter: the ruling of secret fear of others then Allah and its harms. I mentioned texts proving that this kind of fear is *shirk* and the worst of its harms.

The third chapter: the reasons for fearing others then Allah. I mentioned the most important reasons that lead to fearing others then Allah. I divided this chapter into three subchapters, and they are: Shaytan, fabricated and false stories and not being consciences of Allah's greatness.

The fourth chapter: curing the fear of others then Allah. I divided this chapter into four subchapters: having knowledge of the Names and Attributes of Allah. Knowing the weakness of the creation and the need, it has for its Creator. To have trust to Allah. Looking in to the biographies of the prophets, messengers and the righteous slaves of Allah.

The prologue: and I mentioned in it the most important results that I concluded during the research.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد؛ فإن الله تعالى خلق الإنس والجن لعبادته وحده لا شريك له، ولذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب، وأقام الحجج والبينات على من خالف أمره وارتكب نهيه، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل: ٣٦].

وإن من جملة العبادات التي أمرنا الله تعالى بإخلاصها له هي عبادة الخوف منه جل وعلا، فإنها من العبادات القلبية العظيمة، حيث إنها «من أجلّ منازل الطريق وأنفعها للقلب وهي فرض على كل أحد»[(١)]، وهي «من أفضل مقامات الدين وأجلها وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى»[(٢)]، وقد تكاثرت الأدلة التي تدل على أهمية تلك العبادة، وتحريم صرفها لغير الله تعالى، وإقامة الحجج من قبل الأنبياء والمرسلين على أقوامهم في وجوب إخلاصها لله تعالى وحده، كما تناولها العلماء بالبيان

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٤٨).

(٢) فتح المجيد (ص/ ٣٣٢).

والإيضاح، وكذا الرد على المخالفين فيها، وأوضحوا للناس خطورة الخوف من غير الله تعالى.

وإن مما يؤسف له وقوع كثير من المنتسبين إلى الإسلام في مخالفة تلك النصوص الآمرة بالخوف من الله تعالى وحده -خوفَ السر-، وأصبحوا يخافون من غير الله تعالى خوفَ الضر الذي لا يملكه مخلوق، بل هو من خصائص الألوهية، متشبّهين بالمشركين عبدة الأصنام وكذا النصارى، فتجد قلوبهم معلقة بالقبور والصالحين والأولياء والسحرة والكهان، معتقدين أن بيدهم النفع والضر، وأنهم يصيبون بالضر كلَّ من لم يصدّق بهم ويسفّه معبوداتهم، أو من لم يتوجه إليهم بالعبادة والتقرب، ولذا كثر زوار المقابر والمشاهد مستنجدين بها، مستغيثين بها، يدْعونها من دون الله، تارة راغبين، وتارة راهبين، ومما يدلك على عظم الفتنة بها أنهم يفْدون مقدَّسيهم بأنفسهم وأهليهم وأموالهم، كل هذا خوفًا منها، وقد أغفلوا التوحيد الذي من أجله خلق الله تعالى الخلق، وأنزل الكتب، وأرسل الرسل، وقد ساعد على نشر هذا الضلال: منحرفون يخوفون الناس من غير الله تعالى، مستخدمين وسائل شتى في تغرير الناس بهم، مع تزيين الشيطان لهم هذا.

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُمَاٱللَّهُ: «وهذا القسم هو الواقع اليوم من عباد القبور، فإنهم يخافون الصالحين بل الطواغيت، كما يخافون اللهَ، بل أشد»[1].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٨٥).

ولم يكتف هؤلاء الضُّلّال بالشرك في هذا الخوف؛ حتى خوّفوا عباد الله الصالحين من تلك المشاهد والأضرحة، وزعموا أنها تصيب منتقصها وسابَّها ومن أغفل الالتجاء إليها بالضر، وهذا التخويف من غير الله تعالى عين ما وُجد لدى الأمم السابقة كما ذكر الله تعالى عنهم في كتابه، وكذلك عند الكفار الذين خرج فيهم النبي ﷺ؛ فخوفوا الأنبياء والمرسلين من معبوداتهم وزعموا أنها تصيبهم بالضر؛ إرجافًا وردًّا للحق الذي جاء به الأنبياء والمرسلون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وأما أهل التوحيد والسنة فالتجأوا إلى ربهم وخالقهم فلم يصرفوا عبادة الخوف لغيره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]، وهم متقيدون بما أمرهم الله به؛ حيث قال: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

وقد أوضح الله تعالى أحقيته بهذه العبادة، وبين أن تلك المعبودات -التي خوفوا بها أنبياءه ورسله- لا تملك لنفسها النفع والضر، فكيف ينفعون أو يضرون غيرهم؟!

وأحببت أن أدرس تلك المسألة العظيمة؛ وهي: الخوف من غير الله تعالى -خوف السر-، نصحًا لله ولرسوله ولكتابه، وليكون تحذيرًا

للمسلمين من خطورة صرف هذه العبادة لغير الله تعالى، وتحذيرًا من الوسائل المؤدية إليها، وبيان السبل الشرعية والتي سار عليها الأنبياء والمرسلون لعلاج ما وقع فيه الكثير منهم.

وقد آثرت تسمية البحث بـ: (**خوف السر من غير الله تعالى: مفهومه – حكمه – أسبابه – علاجه**) لأن هذا الاسم -وهو خوف السر- أشهر الأسماء التي أطلقت عليه كما سيأتي بإذن الله تعالى، وأسأل الله أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، كما أسأله أن يرد المسلمين إليه ردًّا جميلًا وأن يقيَهم الشرك والبدع والمعاصي.

۞ خطة البحث:

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة فأشرت فيها إلى أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وخطة البحث، ومنهجي فيه.

وأما **التمهيد** ففي عبادة الخوف وفيه مبحثان:

المبحث الأول: تعريف الخوف.

المبحث الثاني: أنواع الخوف.

وأما المباحث فهي على النحو التالي:

المبحث الأول: مفهوم خوف السر وأسماؤه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم خوف السر.

المطلب الثاني: أسماؤه.

المبحث الثاني: حكم خوف السر من غير الله تعالى وضرره، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: حكم خوف السر من غير الله تعالى.

المطلب الثاني: ضرر خوف السر من غير الله تعالى.

المبحث الثالث: أساب الخوف من غير الله تعالى، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الشيطان.

المطلب الثاني: الكذب والحكايات الباطلة.

المطلب الثالث: عدم استشعار عظمة الله تعالى.

المبحث الرابع: علاج الخوف من غير الله تعالى، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: معرفة أسماء الله تعالى وصفاته.

المطلب الثاني: معرفة ما عليه المخلوق المربوب من الضعف والحاجة إلى خالقه.

المطلب الثالث: التوكل على الله تعالى.

المطلب الرابع: النظر في سيرة الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين.

الخاتمة وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث.

۞ منهج البحث:

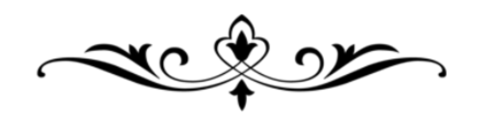
سرت في كتابة هذا البحث على وَفق المنهج الوصفي التحليلي، وقد قمت بما يلي:

١-عزو الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية في صلب البحث.

٢-تخريج الأحاديث النبوية من مصادرها من كتب السنة؛ فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما فإني أكتفي بالعزو إليهما، وإلا فإني أخرجه من مظانه من كتب السنة ناقلًا حكم بعض أهل العلم عليه.

٣-أذكر اسم الكتاب في الغالب مختصرًا أو باسم الشهرة.

٤-حيثما أطلقت الخوف فإني أريد به خوف السر، الذي هو شرك بالله تعالى، إذ إنه مقصود البحث.



التمهيد

عبادة الخوف

المبحث الأول

تعريف الخوف

الخاء والواو والفاء أصل واحد يدل على الذعر والفزع، يقال: خفتُ الشيء خوفًا وخيفة. والياء مبدلة من واو لمكان الكسرة[1].

قال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الخوف: الفزع، خافه يخافه خوفًا وخيفة ومخافة. قال الليث: خاف يخاف خوفًا، وإنما صارت الواو ألفًا في يخاف؛ لأنه على بناء عمِل يعمَل، فاستثقلوا الواو فألقوها، وفيها ثلاثة أشياء: الحرف والصرف والصوت، وربما ألقوا الحرف بصرفها وأبقوا منها الصوت، وقالوا: يخاف، وكان حدّه يَخْوَف بالواو منصوبة، فألقوا الواو واعتمد الصوت على صرف الواو، وقالوا: خاف، وكان حدّه خوِف بالواو مكسورة، فألقوا الواو بصرفها وأبقوا الصوت، واعتمد الصوت على فتحة الخاء فصار معها ألفًا لينة، ومنه التخويف والإخافة والتخوف، والنعت خائف وهو الفزع»[2]، ومما قيل في تعريف الخوف: إنه «اضطراب القلب

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٣٠).

(٢) لسان العرب (٥/ ١٧٩).

وحركته من تذكر المخوف»[١]، وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريفه: «الخوف: توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، كما أن الرجاء والطمع توقّع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة، ويضاد الخوف: الأمن»[٢].

وهناك ألفاظ مقاربة للخوف كالوجل والخشية والرهبة[٣].

والخوف عبادة من أجلّ العبادات، ولذلك سيأتي أن هذا النوع من الخوف يسمى بخوف العبادة، والأدلة التي تدل على أن الخوف عبادة كثيرة؛ منها:

١-قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وهذا الأمر للوجوب، وهو دليل على أن الخوف عبادة من العبادات، وتوحيد الله تعالى بهذه العبادة: توحيد، وإشراك غير الله تعالى معه في هذه العبادة شرك، ولذلك نهى عن إنزال عبادة الخوف بغيره[٤]، قال الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ: «فأمر تعالى بإخلاص الخوف له، وأخبر أن ذلك شرط في الإيمان، فمن لم يأت به؛ لم يأت بالإيمان الواجب، ففيه أن إخلاص الخوف لله من الفرائض»[٥].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٤٩).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن (ص/ ٣٠٣).

(٣) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٤٩).

(٤) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٧٠).

(٥) تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٨٧).

٢-قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]، وقد حصر الله تعالى عُمّار المساجد بصفات؛ منها أنهم لا يخشون إلا الله، وكان فيها حصرٌ من وجهين؛ الأول: النفي: في قوله: (ولم يخش)، والثاني: الإثبات: في قوله: (إلا الله)، والمعنى: أن خشيته انحصرت في الله عَزَّوَجَلَّ فلا يخشى غيره[١]، فهذا الحصر يدل على أن الخوف من الله تعالى عبادة، وإلا لم تكن من صفات عُمّار المساجد الذين يعمرونها حسًّا ومعنى.

٣-قوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤]، وهذا كذلك نهي عن الخشية من الناس ووجوب الخشية منه وحده جل وعلا، فالخشية منه تعالى علامة على إيمان العبد، فهي من العبادات المحبوبة لله تعالى.

٤-قوله تعالى: ﴿وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، وهذا أمر بإخلاص هذه العبادة لله جل وعلا.

إلى غير ذلك من النصوص، وسيأتي ذكر نصوص أخرى عند الحديث عن حكم الخوف من غير الله تعالى[٢].

---

(١) انظر: القول المفيد (٢/ ١٧٠).

(٢) انظر: (ص/ ٢٠).

المبحث الثاني

أنواع الخوف

ينقسم الخوف عمومًا إلى أقسام، فمنه ما هو محمود، ومنه ما هو جائز، ومنه ما هو محرم، ومنه ما هو خروج من الملة[1]:

١- أما الخوف المحمود: فأهله هم المؤمنون الذين خافوا الخوف الشرعي، وهو الخوف من الله تعالى ووعيده الذي توعّد به العصاة، وهو خوف ينشأ عنه الانقياد للشرع بفعل الواجبات وترك المحرمات، وهو فرض على كل أحد[2]، وقد جاء هذا كثيرًا في كتاب الله تعالى كقوله: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]، وقوله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فوعد بنصر الدنيا وبثواب الآخرة لأهل الخوف، وذلك إنما يكون لأنهم أدوا الواجب، فدلّ على أن الخوف يستلزم فعل الواجب، ولهذا يقال للفاجر: لا يخاف الله»[3]، وهذا

---

(١) انظر في أنواع الخوف: الجامع لشعب الإيمان (٢/ ٤٠٨، و٥٦٣)، والفروق للقرافي (٤/ ٤٠٠)، ومدارج السالكين (١/ ٥٥١)، ونكت القرآن (٢/ ٢٨٦ ، و٢٩٠)، وتيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٨٤)، وفتح المجيد (ص/ ٣٣٢)، وحاشية كتاب التوحيد (ص/ ٢٤٤)، والعذب النمير (٥/ ٣٣٣-٣٣٤)، والدر النضيد على أبواب التوحيد (ص/ ٢٦٨)، والقول المفيد (٢/ ١٦٦)، وإعانة المستفيد (٢/ ٦٥)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص/ ٨٤)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٦٦)، وشرح فتح المجيد للشيخ صالح آل الشيخ (٢/ ٤٣٢).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥٤٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٢٢).

الخوف من أعلى مراتب الإيمان(١)، ومن أجلّ منازل الطريق وأنفعه للقلب(٢)، وهو خوف محمود ما لم يوصِل إلى القنوط واليأس من رحمة الله تعالى، قال شيخ الإسلام: «هذا الخوف ما حجزك عن معاصي الله، فما زاد على ذلك فهو غير محتاج إليه»(٣).

ومنه الخوف من عدم قبول الله تعالى للعبادة، وهذه المرتبة ممدوحة في الشرع كذلك، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، **فعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: سألتُ رسول الله ﷺ عن هذه الآية:** ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾ **أَهُمُ الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا يُقْبَل منهم** ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾ [المؤمنون: ٦١](٤).

٢- الخوف الجائز: وهو الخوف الذي لا يحاسب اللهُ تعالى به العبدَ، إذ إنه تعالى لا يكلف نفسًا إلا وُسعها، وهذا الخوف منه، ويسمى بالخوف الطبيعي، وهو خوف عادي، كالخوف من السبُع والخوف من الظالم الطاغي، ونحو ذلك، وقد يقع هذا من خيار عباد الله تعالى من الأنبياء

---

(١) انظر: حاشية كتاب التوحيد (ص/ ٢٤٣).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥٤٨).

(٣) نقله عنه ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٤١٠)، وانظر: (١/ ٥٥١) منه.

(٤) أخرجه الترمذي في جامعه، ك: تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمنين، (ص/ ٧١٨- ٧١٩)، رقم (٣١٧٥)، وابن ماجه في سننه، ك: الزهد، باب: التوقي على العمل، (٢/ ١٤٠٤)، رقم (٤١٩٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٣/ ٢٨٧).

والمرسلين ومن الصالحين، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخوف من الأعداء سنة الله في أنبيائه وأوليائه مع معرفتهم به وثقتهم»[١]، وهذا الخوف لا يحاسب الله تعالى الناس عليه، إذ إنه يكون بطبيعة الإنسان وبأسباب عادية، ومثال هذا في القرآن الكريم: قول الله تعالى في موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص: ١٨]، وقوله فيه أيضًا: ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص: ٢١].

٣- الخوف المحرم: وهو أن يخاف من مخلوق في امتثال واجب أو البعد عن المحرم، كأن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بغير عذر إلا لخوفه من الناس، فيسعى لرضا المخلوق بما يجلب له سخط خالقه ومليكه، ويسميه بعض العلماء بـ(الخوف الدنيوي)[٢]، وقد يحكم عليه بعض العلماء بأنه من الشرك الأصغر[٣]، لأنه آثر رضا المخلوق على رضا الله تعالى وتقرب إليه بما يسخط الله[٤].

وهذا الخوف المذموم المحرم ليس فيه إكراهٌ للخائف، وإنما فيه أنه يخاف من إظهار الشعائر بسبب مخافة الذم أو السب، فيسعى لرضا المخلوق بسخط الخالق، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولو هدده إنسان على فعل محرم

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٦٨).

(٢) العذب النمير (٥/ ٣٣٣-٣٣٤).

(٣) انظر: كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب (ص/ ٢٤)، وفتح المجيد (ص/ ٣٣٢)، والدر النضيد على كتاب التوحيد (ص/ ٢٧١)، وإعانة المستفيد (٢/ ٦٨)، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص/ ٨٥)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٦٩).

(٤) انظر: الدر النضيد على كتاب التوحيد (ص/ ٢٧١).

فخافه وهو لا يستطيع أن ينفذ ما هدده به فهذا خوف محرم، لأنه يؤدي إلى فعل محرم بلا عذر»[١]، وأما الخوف الذي يكون منشؤه الإكراه فإنما يكون من حي قادر على أذيته، وهو الذي يعفى عنه، والإكراه هو: إلزام الغير بما لا يريده[٢]، وذكر الحافظ ابن حجر أربعة شروط للإكراه، هي:

الأول: أن يكون فاعله قادرًا على إيقاع ما يهدد به، والمأمور عاجزًا عن الدفع ولو بالفرار. الثاني: أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك.

الثالث: أن يكون ما هدّده به فوريًّا، فلو قال: إنْ لم تفعل كذا؛ ضربتك غدًا، لا يعدّ مكرها، ويستثنى ما إذا ذكر زمنا قريبًا جدًّا، أو جرت العادة بأنه لا يُخلِف.

الرابع: أن لا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره، كمن أكره على الزنا فأولج؛ وأمكنه أن ينزع، ويقول: أنزلت فيتمادى حتى ينزل، وكمن قيل له: طلق ثلاثا، فطلق واحدة، وكذا عكسه[٣].

٤- الخوف الشركي: وهو خوف السر، ويسمى بخوف العبادة، وهو أن يخاف من غير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، **وهو مقصود هذا البحث كما تقدم في منهج البحث،** وسيأتي -بإذن الله- ذكر الضابط الذي يصير به الخوف شركًا.

---

(١) القول المفيد (٢/ ١٦٦).

(٢) انظر: فتح الباري (١٢/ ٣٢٦).

(٣) فتح الباري (١٢/ ٣٢٦).

المبحث الأول

مفهوم خوف السر وأسماؤه

المطلب الأول

مفهوم خوف السر

تنوعت عبارات أهل العلم في التعريف بخوف السر، فمن ذلك:

قول الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريف خوف السر: «أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يشاء من مرض أو فقر ونحو ذلك بقدرته ومشيئته، سواء ادعى أن ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة، أو على سبيل الاستقلال»[(١)]، وفي موضع آخر قال: «ومعنى خوف السر: هو أن يخاف العبد من غير الله تعالى أن يصيبه مكروه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره»[(٢)]، وعرفه الشيخ صالح الفوزان حفظه الله بقوله: «أن يخاف الإنسان من غير الله من الأصنام والأوثان وما عُبِد من دون الله من القبور والأضرحة، أو خاف الشياطين والجن وتقرب إليهم بما يحبون من أجل أن يسلم من شرهم»[(٣)].

وأرى من الواجب الإشارة هنا إلى ضابط مهم في التفريق بين خوف السر وبين بقية أنواع الخوف الأخرى، لاختلاف الحكم، ولرفع الإشكال الذي يقع

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد للشيخ سليمان بن عبدالله (ص/ ٤٨٤).

(٢) المرجع السابق (ص/ ٤٠).

(٣) إعانة المستفيد (٢/ ٦٥)، وانظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص/ ٨٤).

لدى كثير من الناس حول التفريق بين تلك الأنواع وبين خوف السر:

والفرق هو: أن خوف السر معه اعتقاد استقلالية الـمَخوف بالضر والنفع، بسبب غير ظاهر؛ أي ليس بحسي، أو مشاركته لله بهذا، أو إعطاء الله تعالى له هذا كرامةً، وتعلق القلب به، والتقرب إليه، بطاعة باطنة، ولذا يرجو ما عنده ويخافه، كما أن فيه تأليهًا لذلك المخوف، وتقربًا بخوفه إليه، وعند أهل هذا الخوف اعتقاد وجود سر بين هذا المخوف وبين الرب تبارك وتعالى، وهو السبب الخفي الذي من أجله حصل الخوف، ولذا سمي هذا الخوف بخوف السر.

أما غيره من الأنواع فليس فيه تعبّد لغير الله تعالى، ولا ينصرف ذهن الخائف إلى أن المخوف يستقل بالنفع أو الضر، ولا يتعلق قلبه به، فهو خوف من أمر ظاهر، وسبب عادي لا خفي، وليس هو كذاك خوف السر الخفي، فإنه خوف من أمر غير ظاهر، وليس هو بسبب عادي، وبذلك يكون الضابط هو النظر إلى متعلَّق الخوف وأسبابه.

وتأمل ما سبق في بيان الشيخ سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ للخوف الشركي بأنه اعتقاد ضرر المخوف للعبد بأن يصيبه بمشيئته وقدرته وإن لم يباشره.

وللشيخ عبدالرحمن السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلام نفيس له يذكر فيه الفرق بين خوف السر وبين غيره من أنواع الخوف الأخرى؛ إذ قال: «اعلم أن الخوف والخشية تارة يقع عبادة، وتارة يقع طبيعة وعادة، وذلك بحسب أسبابه ومتعلقاته؛ فإن كان الخوف والخشية خوف تأله وتعبد وتقرب بذلك

الخوف إلى من يخافه، وكان يدعو إلى طاعة باطنة، وخوف سري يزجر عن معصية من يخافه؛ كان تعلقه بالله من أعظم واجبات الإيمان، وتعلقه بغير الله من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله؛ لأنه أشرك في هذه العبادة -التي هي من أعظم واجبات القلب- غير الله مع الله، وربما زاد خوفه من غير الله على خوفه من الله.

وأيضا فمن خشي الله وحده على هذا الوجه فهو مخلص موحد، ومن خشي غيره فقد جعل لله ندًّا في الخشية، كمن جعل لله ندًّا في المحبة، وذلك كمن يخشى من صاحب القبر أن يوقع به مكروهًا، أو يغضب عليه فيسلبه نعمة أو نحو ذلك، مما هو واقع من عباد القبور.

وإن كان الخوف طبيعيًّا كمن يخشى من عدو أو سبُع أو حية أو نحو ذلك **مما يخشى ضرره الظاهري**، فهذا النوع ليس عبادة، وقد يوجد من كثير من المؤمنين ولا ينافي الإيمان، وهذا إذا كان خوفًا محقّقًا قد انعقدت أسباب الخوف فليس بمذموم، وإن كان هذا خوفًا وهميًّا كالخوف الذي ليس له سبب أصلًا، أو له سبب ضعيف فهذا مذموم يدخل صاحبه في وصف الجبناء»[١]، وذكر هذا كذلك الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن بعض العلماء[٢].

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد (٣/ ٣٤-٣٥- ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(٢) العذب النمير (٥/ ٣٣٣-٣٣٤) باختصار.

وبعد هذا يتضح حكم المسألة المشهورة بمسألة خوف الجن والشياطين والسحرة ونحوهم، فإن كان الخوف منهم من أجل استقلالهم بالنفع والضر واعتقاد إصابتهم للناس بمحض مشيئتهم بل بأمر غير حسي، أو اعتقادهم أن لهؤلاء كرامة مكنهم الله من النفع والضر بسببها، وهو الذي يسمى بالسبب الخفي؛ فإن هذا شرك أكبر -على ما يأتي حكمه بإذن الله-، أما إن كان خوفه منهم من أجل مجرد إضرارهم بما جعله الله تعالى لهم من أنواع الضرر ومما جعله الله تعالى من الأمر الكوني القدري؛ فإن هذا خوف طبيعي، يكون من طباع البشر، فإن النفس مجبولة على الخوف من المؤذيات[1]، من جنسِ خوف العدو والسبع والسلطان الظالم، وليس في هذا خوف الاعتقاد أو النفع والضر، وقد ذكر الله تعالى أن السحرة يضرون الناس لكن هذا لا يكون إلا بإرادته الكونية القدرية، فقال: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وذكر الله تعالى هذا الخوف عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال جل وعلا: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ [طه: ٦٦-٦٨]، وهذا الخوف طبيعي بسبب بشرية موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على ما قاله بعض أهل العلم، قال السمعاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «واختلفوا في هذا الخوف على

---

(١) انظر: نكت القرآن (٢/ ٢٩٠).

قولين؛ أحدهما: أنه خوف البشرية، والآخر: خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر، فلا يؤمنوا»[١].

وإن ما عليه الكثير من عباد القبور من خوفهم من معبوداتهم دون الله تعالى لهو داخل في الشرك الأكبر المخرج من الملة، فتجدهم يخافون من معبودهم أكثر من خوفهم من الله تعالى حتى إنه ليحلف بالله كاذبًا ولا يجرؤ على الحلف بمعظَّمه إلا صادقًا، وذلك لأنه يخاف من معظمه أكثر من خوفه من خالقه جل وعلا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وهذا كثير في زماننا حيث إنهم يخافون ممن يزعمون سيادته وصلاحه وإمامته ويظنون أنه يصيب كل من لم يقدره أو ممن لا يخافه أو ممن لا يتقرب إليه، ويسمون هذا في بعض البلدان اليوم: «سرًّا»، أو «تشويرًا»، أو «تزبيبًا»، ونحو ذلك، يزعمون أنه بسبب ما يستقل به من النفع والضر أو لما وهبه الله إياه من الكرامة؛ يصيب غيره -ممن لم يخضع له أو يتقرب إليه ويعبده- في نفسه أو يصيبه في ولده[٢]، فأرهبوا كثيرًا من الناس وأكلوا أموالهم بالباطل، فوقعوا في الشرك الأكبر حيث صرفوا تلك العبادة -وهي الخوف- لغير الله تبارك وتعالى.

---

(١) تفسير السمعاني (٣/ ٣٤٠-٣٤١)، وانظر: تفسير القرطبي (١٤/ ١٠١)، ومنهاج السنة (٨/ ٤٦٧)، نكت القرآن (٢/ ٢٨٧)، وفتح المجيد (ص/ ٣٣٣)، وتفسير السعدي (ص/ ٥٩٢).

(٢) انظر: إعانة المستفيد (٢/ ٦٧).

وظهر بما تقدم الفروق العظيمة بين الخوف المحرم والخوف الشركي، ويمكن إيجازه فيما يلي:

أولًا: الخوف المحرم هو ترك ما يجب على العبد من الأمور الواجبة أو ارتكاب المحرم بلا عذر إلا الخوف من الناس، وأما الخوف الشركي فليس بلازم أن يكون هناك ترك للواجبات وفعل للمحرمات، بل قد يغرّ الشيطان أتباعه لأداء الواجبات عند أصحاب القبور؛ فيقيمون الصلوات وأنواعًا من العبادات، ويرابطون عند القبور، يطلبون منها المدد والبركات، ويدعونها دون الله تعالى ويخافونها.

ثانيًا: أن الخوف المحرم يكون ممن قد يتحقق ظلمه وأذيته للناس، أو أن يكون هذا مظنونًا عنده، فهذا الخوف يكون من الحي القادر الموجود، أما الخوف الشركي فيكون من أموات عاجزين أو أحياء غير حاضرين، زعم أنهم يعلمون ويضرون وينفعون ويعطون ويمنعون، بل ولهم تصرف في الكون، كالخوف من الأصنام والأوثان والقبور والأضرحة، أو الخوف ممن يُعتقد فيه السيادة والكرامة من الأحياء الغائبين الذين يضرون مباشرة بأنفسهم أو بكرامتهم كما زعموا.

ثالثًا: أن صاحب الخوف المحرم لا يعتقد استقلال المخلوق الذي خاف منه بالنفع والضر، ولا مشاركته لله في شيء من التصرف، ولا اعتقد أن لهذا المخوف كرامة ينفع ويضر بها فيكون سببًا، وقد يحمله على هذا

الخوف محبة رضا المخلوق وعدم سخطه، في حين أن الخوف الشركي فيه اعتقاد إما استقلالية المخوف منه بالنفع والضر بقدرته ومشيئته، أو بما وهبه الله إياه من الكرامة والسر؛ كما تقدم قريبًا في ذكر ضابطه، ولذلك خافوا من الأموات والغائبين العاجزين، وادعوا فيهم الكرامات والحكايات الباطلة.

رابعًا: أن الخوف المحرم يكون الخوف فيه من أمر ظاهر وسبب حسي عادي، في حين أن الخوف الشركي يكون من أمر خفي وسبب غير ظاهر، وهو سر جعله الله تعالى –بزعمهم– لهذا المخوف منه لكرامته أو على سبيل الاستقلال، ولذلك اشتهر هذا الخوف بخوف السر.

خامسًا: الخوف المحرم لم يفعله تقربًا إلى المخلوق الذي خافه، ولا طرأ له على بال، ولذلك لا يتوجه بالعبادة إلى هذا المخلوق، ولا يعظمه، وأما خوف الشرك فإن أمره متعلق بالعبادة والتعظيم لمن يخافه، ولذلك يسمى بخوف الاعتقاد والعبادة والتأله والتقرب والتعبد والتعظيم كما سيأتي.

سادسًا: أن الخوف المحرم عده بعض العلماء من قبيل الشرك الأصغر الذي لا يخرج من الملة، وتقدم أن سبب ذلك هو لأنه قدّم رضا المخلوق على رضا الله تعالى وتقرب إليه بما يسخط الله تعالى، أما الخوف الشركي فهو شرك أكبر مخرج من الملة، لأنه صرف خالص حق الله تعالى وهو خوف العبادة إلى غيره.

المطلب الثاني
أسماؤه

عرف هذا النوع من الخوف خاصة -وهو الخوف من غير الله تعالى- بعدة أسماء ذكرها أهل العلم، وكلها تعود إلى ما تقدم في تعريفه، لكن هذه الأسماء تتعدد بحسب متعلقها وحكمها، فمن تلكم الأسماء:

١- **خوف السر**: واشتهر هذا الاسم كثيرًا في إطلاقات أئمة الدعوة وشراح كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبدالوهاب، واهتموا بذكره في مصنفاتهم وحذروا منه، -بسبب انتشاره في ذلك الزمان إلى هذا اليوم- لا سيما عند شرحهم لباب: قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥][(١)].

وسبب تسمية «خوف السر» بهذا الاسم يرجع إلى ثلاثة أمور:

١- ما لدى المخوف منه من قدرة على النفع والضر -بزعمهم-، ويكون هذا بسرٍّ بين هذا وبين الله تعالى، وهم بهذا يريدون ربط القلوب بهؤلاء لما لهم من مكانة عند الله تعالى وسبب لا يعرف بالحس، يخاف منه من أجلها، وهو بهذا يكون خوفه من أمر جعله الله تعالى لهذا المخوف منه بسبب كرامته وولايته ونحو ذلك كما يدّعون، ويزعمون أن لهذا الولي القدرة على

---

(١) انظر: الدرر السنية (١/ ٦٢ ، ٢٧٠)،حاشية كتاب التوحيد (ص/ ٢٤٤)، والدر النضيد على أبواب التوحيد (ص/٢٦٨)، والقول المفيد (٢/١٦٦)، وإعانة المستفيد (٢/ ٦٥)، وشرح فتح المجيد للشيخ صالح آل الشيخ (٢/ ٤٣٢)،

التصرف في الكون، فخوف السر إذن يكون بخوف الإنسان من المخوف منه «من أجل قدرة خاصة سرية، ليست حسب الحس، ولذلك يعتقد عباد القبور أن بعض الناس له القدرة على التصرف في الكون مع الله جل وعلا، ويعتقدون ذلك أيضًا في الأصنام والجن وغيرها، وهذا هو الشرك الأكبر، ويعتقد فيهم أيضًا أن لهم القدرة على العطاء والمنع، وزيغ القلوب، وموت النفوس دون أسباب حسية»[(١)]، وذكر الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ اللَّهُ قصة أحد التجار -تبين المراد بالسر- إذ أخذ أموالًا عظيمة أيام موسم الحج، ثم بعد أيام أظهر الإفلاس، فقام عليه أهل الأموال، فالتجأ إلى قبر في جدَّة يقال له: المظلوم، فما تعرض له أحد بمكروه خوفًا من سر المظلوم![(٢)].

ومن قال إن بينه وبين الله تعالى سرًا فقد أعظم الفرية وقال قولًا عظيمًا، وقد كفره أهل العلم، قال أبو يعلى ابن الفراء: «من قال إن بينه وبين الله سرًا فقد كفر، وأي وصلة بينه وبين الإله؟ وإنما ثَمَّ ظواهر الشرع، فإنْ عنى بالسر ظاهر الشرع فقد كذب؛ لأنه ليس بسر، وإن عنى شيئًا وراء ذلك فقد كفر»، وقال في قول المتوسلين بالميت: «اللهم إني أسألك بالسر الذي بينك وبين فلان» قال: «أيُ سر بين العبد وبين ربه لولا حماقة هذا القائل؟»[(٣)].

٢- وقد يكون المراد من خوف السر كذلك أن المخوف منه قد يصيب

---

(١) شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن باز (ص/ ٥١).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٨٧).

(٣) بدائع الفوائد (٤/ ٥٤) قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (قال ابن الجوزي في آخر منتخب الفنون مما بلغه عن ابن عقيل من غير الفنون قال: سمعت أبا يعلى بن الفراء يقول) ثم ذكره.

العبدَ سرًّا بالضر[١].

٣- وقد يقال: بأن المقصود من خوف السر كذلك أنه خوفٌ من أمرٍ غيرِ ظاهرٍ سببه -ممن لا يملك النفع والضر- في سره وفي نفسه وداخل قلبه مما لا يطلع عليه الناس، فهو خوف باطني لا يطلع عليه أحد من الخلق.

وعلى كل؛ فإن عقيدة المشركين السابقين واللاحقين شاهدة على هذا، حيث غلوا في معظَّميهم ووصفوهم بصفات الرب تبارك وتعالى من الإحياء والإماتة، والضرر والنفع، والمنع والعطاء، وعلم الغيب، وشفاء الأمراض، وغير ذلك من أنواع التصرف في الكون، زاعمين أنهم بهذا قد وُهبوا سرًّا من الأسرار، به يفعلون، فاتخذوا هذا سوطًا على رقاب الناس وأرهبوهم، وقابلوا من لم يؤمن بهذا الولي المعبود بالتخويف من سره، فوقع الخوف في قلوب أتباعهم، وأكلوا أموالهم بالباطل، مع ما يوردونه من قصص وحكايات مكذوبة ضل بسببها الكثير من الناس -كما يأتي- ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٢- **خوف التعظيم والتذلل والخضوع**[٢]: وهذه لازمة لكل من خاف من معبوداته، فهو يعظمها ويتذلل ويخضع لها، وهذه لا تجوز إلا لله تعالى.

٣- **خوف التأله والتعبد والتقرب**[٣]: ويقصد من هذا الإطلاق أن هذا الخوف فيه التفات إلى غير الله تعالى واعتقاد استحقاق المعبود المخوف

---

(١) انظر: التمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٦٩)، وشرح فتح المجيد (٢/ ٤٣٢).

(٢) انظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٧٧)، والقول المفيد (٢/ ١٦٦).

(٣) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد (٣/ ٣٤- ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

منه للعبادة، وهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله تعالى أصلًا، لأن هذا من لوازم الإلهية، فمن اتخذ مع الله ندًّا يخافه هذا الخوف فهو مشرك[١].

٤- **خوف العبادة**[٢]: ونسب إلى العبادة من أجل بيان أن الخوف عبادة من العبادات التي أوجبها الله تعالى ويجب إفراده جل وعلا بها[٣]، وهو يتعبد له بهذه العبادة وهي الخوف[٤]، ولأن الخائف يتقرب إلى المخوف منه بأنواع من العبادات، وحتى يميّز بينها وبين الخوف الطبيعي الذي لا عبادة فيه، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالخوف عبودية القلب فلا تصلح إلا لله، كالذل والمحبة والإنابة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب»[٥].

٥- **الخوف الشركي**[٦]: وهذه نسبة إلى حكم هذا الخوف، أو ما يفعله المشركون من تسوية الله تعالى بالمعبودات في عبادة الخوف، حيث أشركوا غير الله في هذه العبادة، فمن صرف هذا الخوف لغير الله فقد أشرك، كما لو صرف العبادة لغير الله تعالى كالدعاء والاستغاثة والنذر وغيرها، كما قال الخليل

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٨٤).

(٢) انظر: القول المفيد (٢/ ١٦٦)، وشرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (ص/ ٥٧)، وإعانة المستفيد (٢/ ٦٦).

(٣) انظر: شرح فتح المجيد للشيخ صالح آل الشيخ (٢/ ٤٣١).

(٤) شرح ثلاثة الأصول للشيخ ابن عثيمين (ص/ ٥٧).

(٥) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص/ ٢٧٨)

(٦) انظر: فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٥٣)، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٦٩)، وشرح فتح المجيد للشيخ صالح آل الشيخ (٢/ ٤٣٢).

عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾[الأنعام: ٨٠].

٦- **الخوف مع الله تعالى**: بمعنى أنك تخاف من غيره مثل خوفه أو أشد كما ذكر الله في شأن المنافقين، إذ هم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية، وهذا الخوف هو الخوف الشركي المنهي عنه الذي صاحبه يخلد في النار[١].

هذه بعض الأسماء التي أطلقها العلماء على هذا النوع من الخوف، وهي وإن اختلفت في الاسم إلا أنها مطابقة في المدلول والمعنى كما هو ظاهر.

المبحث الثاني
حكم خوف السر من غير الله تعالى وضرره

المطلب الأول
حكم خوف السر من غير الله تعالى

تقوم العبادات القلبية على ثلاثة أمور هي ركائزه: المحبة والخوف والرجاء، وهي محركات القلوب إلى الله تعالى[٢]، وهذه العبادات حق خالص لله تعالى.

والخوف عبادة من العبادات، وتوحيد واجب، وحق من حقوق الله تعالى، أوجب الخوف منه، وحذر من أن يخاف من غيره، لأنه لا استحقاق

(١) انظر: فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٥٣).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٩٥).

لأحد لهذه العبادة، وأوضح أن من سبيل الكفار هو تخويف العباد من غيره، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال جل وعز: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن: ١٨].

وخوف السر من غير الله تعالى شرك أكبر بالله تعالى يخرج به العبد من الإسلام، إذ إن الخوف الذي هو خوف التعظيم والتذلل والخضوع: عبادة، وصرف هذه العبادة لغير الله تعالى شرك أكبر[١]، حيث ساوى غير الله بالله فيما هو من حقه جل وعلا، ومن أطلق من أهل العلم أن الخوف من غير الله تعالى شرك؛ فإنه يريد هذا النوع من الخوف، ولذا كان من أسمائه كما تقدم: الخوف الشركي، أي أن صرفه لغير تعالى شرك.

قال المقريزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢] في قوله تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨]: «فمن أحب غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يُحِبُّ اللهَ ويخافه ويرجوه؛ هذا هو الشرك الذي لا يغفره الله، فكيف بمن كان غير الله آثر عنده منه وأحب إليه وأخوف عنده وهو في مرضاته أشد سعيا منه في مرضاة الله؟»[٣]، وقال الشيخ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٩١)، والدرر السنية (٢/ ٣١١)، والقول المفيد (٢/ ١٦٦).

(٢) هو تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر المقريزي الحنفي البعلي الأصل، المصري المولد والدار والوفاة، الإمام العالم البارع، وكان حنفيا ثم تحول إلى المذهب الشافعي، ولي حسبة القاهرة غير مرة، من مؤلفاته: الخبر عن البشر، إمتاع الأسماع فيما للنبي ﷺ من الحفدة والمتاع، توفي سنة خمس وأربعين وثمانمائة. انظر: شذرات الذهب (٧/ ٢٤٥).

(٣) تجريد التوحيد المفيد (ص/ ٤٧).

سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الخوف لا يكون العبد مسلمًا إلا بإخلاصه لله تعالى وإفراده بذلك دون من سواه»، وقال: «فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلا لأن هذا من لوازم الإلهية فمن اتخذ مع الله ندًّا يخافه هذا الخوف فهو مشرك، وهذا هو الذي كان المشركون يعتقدونه في أصنامهم وآلهتهم ولهذا يخوفون بها أولياء الرحمن»(١).

وليعلم أن هذا الخوف قد يصل بصاحبه إلى الشرك في الربوبية كما هو شأن كثير من عباد القبور من المتصوفة والرافضة وغيرهم؛ الذين اعتقدوا في معبوداتهم التصرف في الكون، فخافوا منهم من أجل ذلك، وهو الذي تقدم أنه أحد مظاهر الخوف الشركي المنتشرة لدى هؤلاء؛ حيث اعتقدوا فيهم الاستقلالية في النفع والضر، ولذا؛ كانوا أعظم شركًا من مشركي قريش الذين خافوا من تلك المعبودات وخوفوا بها الأنبياء والصالحين، مع أنهم لا يعتقدون استقلالية تلك المعبودات في النفع والضر، فضلًا عن الخلق والملك؛ بل يعتقدون أنها وسائط توصلهم إلى ربهم وخالقهم تبارك وتعالى، وأن الله عَزَّوَجَلَّ أكرم تلك المعبودات بالنفع والضر لعابديها، لذا كانوا يقولون في تلبيتهم في الحج: «لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك»(٢).

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٨٤).

(٢) انظر: صحيح مسلم، ك: الحج، باب: التلبية وصفتها ووقتها، (ص/ ٤٨٩)، رقم (٢٨١٥).

وقد كان من عادة عبدة الأوثان -لعنهم الله- أنهم يخوفون الرسل بالأوثان ويزعمون أنها ستضرهم وتصل إليهم بالسوء، ومعلوم أن أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام لا يخافون غير الله من الأصنام والأوثان التي لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع(١)، فبين الله تعالى بطلان هذا المعتقد بصور كثيرة، كلها تدل على عجز تلك المعبودات وأنها لا تملك النفع والضر.

وكل نص شرعي يحذر من الشرك فإنه يدخل فيه ضمنا خوفُ السر كما يدخل فيه غيره من أنواع العبادات الأخرى إن صرفت لغير الله تعالى.

وبالإضافة إلى تلك النصوص؛ جاءت نصوص أخرى في خوف السر خاصة، فمن تلكم النصوص:

١- قوله تعالى عن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٠-٨٢].

جاءت هذه الآيات وما قبلها في سياق تقرير إبراهيم الخليل للتوحيد، وإقامته الحجج المختلفة عليه، فناظره قومه بشبه واهية، أبطلها في هذه

---

(١) انظر: أضواء البيان (٧/ ٣٦).

الآيات، وقد جاءت هذه الحجج من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ «في صورة كلام خبري يشتمل على مبادئ الحِجاج ومقاطعه، مشيرًا إلى مقدمات الدليل ونتائجه، بأوضح عبارة وأفصحها وأقربها تناولًا»(١).

وهذه الآيات فيها إنكار من نبي الله وخليله عَلَيْهِ السَّلَامُ لقومه الذين توجهوا بالخوف والتذلل لغير الله تعالى من المعبودات، ولم يكتفوا بذلك حتى خوفوه منها، فقال: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ لأنهم خوفوه بالأصنام، وكانوا يقولون: احذر الأصنام أن تصيبك بالخبل والجنون وغير ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره هذه الآية: «ولا أرهبُ من آلهتكم التي تدْعونها من دونه شيئًا ينالني به في نفسي من سوء ومكروه، وذلك أنهم قالوا له: إنا نخاف أن تمسّكَ آلهتُنا بسوء من برص أو خبل؛ لذِكْرك إياها بسوء، فقال لهم إبراهيم: لا أخاف ما تشركون بالله من هذه الآلهة أن تنالني بضر ولا مكروه لأنها لا تنفع ولا تضر»(٢).

ثم قال متعجبًا من قبيح فعالهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا﴾، والإشراك هو الجمع بين شيئين في معنى، وهو أن يجمع مع الله غير الله فيما لا يجوز إلا لله تعالى، فهو ينكر عليهم شركهم هذا؛ ويقول: وكيف أخاف الأصنام وما أشركتم، وأنتم أحق بالخوف مني، حيث أشركتم بالله تعالى، ولا تخافون الله

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٢/ ٤٨٥).

(٢) تفسير الطبري (٥/ ٢٤٨).

بشركهم، أو فعلكم الذي لم ينزل به الله حجة وسلطانا[١]، ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه الآلهة لا تملك النفع والضر، ولا تؤثر شيئًا فلا تستحق الخوف الذي هو عبادة خاصة بالله[٢]، وكيف تخافون من هذه الأصنام وقد رأيتم أنها لم تملك لنفسها النفع والضر فلم تدفع عن نفسها حين كسرها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟[٣]، وهو بهذا قد قلب الحجة عليهم، لأنهم دعوه إلى أن يخاف بأس الآلهة فأنكر هو عليهم ذلك إذ لم يخافوا الله حين أشركوا به غيره بدون دليل نصبه لهم[٤]، فقرر التوحيد وأبطل الشرك بأتم عبارة وأكمل حجة.

واعلم أن الاستثناء في قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ﴾ ليس هو استثناء من الأول بل هو استثناء منقطع، معناه: أي إلا أن يشاء ربي أن يصيبني بشيء، وليس معناه أن هذه الأصنام تصيبه بشيء، إذ إنها عاجزة لا تملك النفع والضر، بل الله تعالى بيده كل شيء، وهذا عليه عامة أهل العلم[٥]، وهذا هو التوحيد الذي أمر الله تعالى به، قال

---

(١) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ١٢١)، وتفسير البغوي (٢/ ٩٢)، وتفسير ابن كثير (٦/ ١٠١).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٢/ ٩٢)، وتفسير ابن كثير (٦/ ١٠١).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٢٤٩).

(٤) انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٢٧٣)، والتحرير والتنوير (٧/ ٣٣٠).

(٥) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٢)، وتفسير السمعاني (٢/ ١٢١)، وتفسير البغوي (٢/ ٩٢)، وتفسير القرطبي (٨/ ٤٤٣-٤٤٤)، تفسير ابن عطية (٣/ ٤٠٦)، والتحرير والتنوير (٧/ ٣٢٨).

السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس باستثناء عن الأول، إذ لا يجوز أن يشاء الله أن يصيبه شيء من الأصنام وما يشركون به، وإنما هذا استثناء منقطع ومعناه: لكن إن شاء ربي أن يأخذني بشيء أو يعذبني بجرمي فله ذلك»[١]، وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني: أن الله تعالى لا يشاء أن أخافهم»[٢]، وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استثناء منقطع، أي: لا يضر ولا ينفع إلا الله عَزَّوَجَلَّ»[٣]، ويقوي هذا قوله تعالى هنا: {شيئًا}، لو كان استثناء من الأول لما احتيج أن يقول: {شيئًا} بل يكفي قوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي﴾، دون قوله: {شيئًا}، والله أعلم.

ثم قال تعالى بعد هذا[٤] مبينا الحكم الأخروي لشركهم بالله تعالى في مقابل أهل التوحيد: ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ يعني: من هم الأحق بالأمن من عذاب الله تعالى؛ هل هم المشركون بالله أم الموحدون؟[٥] هل هم الذين يعتقدون أن النفع والضر بيد الله وحده أو الذين عبدوا غير الله تعالى ممن لا يضر ولا ينفع بلا دليل؟[٦] هل هم من

(١) تفسير السمعاني (٢/ ١٢١).

(٢) تفسير القرطبي (٨/ ٤٤٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٠).

(٤) انظر الخلاف في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ هل من قول الله تعالى أم الخليل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في: تفسير الطبري (٥/ ٢٥٠)، و تفسير السمعاني (٢/ ١٢١)، وتفسير القرطبي (٨/ ٤٤٤).

(٥) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ١٢١)، وتفسير القرطبي (٨/ ٤٤٤).

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٠١).

خاف الله ولم يخف من غيره أم من خاف غير الله ولم يخفه؟[1] فإن الأمن يوم القيامة والاهتداء في الدينا والآخرة لا يكون إلا لمن أخلص لله تعالى في العبادة، قال ابن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية: «أمّن خاف غير الله ولم يخفه؟ أم من خاف الله ولم يخف غيره؟»[٢].

وقد امتدح الله حجج إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ التي آتاه إياها، فقال جل وعلا: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقد اختلف العلماء هل المقصود جميع الحجج، أم هي خاصة بحجته على قومه لما خوّفوه من آلهتهم بأن تصيبه بالضر فبرهن على ضرها بتلك الحجة السابقة؟[٣] ولعل الصواب والله أعلم جميع ما سبق من الحجج، ومن ضمنها حجته عليهم عند تخويفهم له[٤].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأنكر –أي الخليل– أن نخاف ما أشركوهم بالله من جميع المخلوقات العلويات والسفليات، وعدم خوفهم من إشراكهم بالله شريكًا لم ينزل الله به سلطانا، وبين أن القسم الذي لم يشرك هو الآمن المهتدي»[٥].

(١) انظر: تفسير الطبري (٥/ ٢٥٠).

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره (٥/ ٢٥٠).

(٣) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٤٤٥).

(٤) انظر: أضواء البيان (٢/ ١٥٤).

(٥) مجموع الفتاوى (١/ ٩٧).

٢- ومن ذلك ما حصل من قوم هود عندما زعموا إصابة آلهتهم له بالجنون ونحوه، بسبب حطِّه عليها، ودعوته لهم بإخلاص العبادة لله تعالى؛ ناهيًا لهم عن عبادة غيره من الأوثان، فقالوا له -كما ذكر الله تعالى-: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾﴾ [هود: ٥٤-٥٥].

ومعنى (اعتراك) أي: أصابك[١]، و(بسوء): أي: أصابتك الأوثان بجنون، بسبب سبِّك إياها وعيبها،كما قاله بعض السلف كابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ومجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرهما[٢]، أو يكون المراد العموم، أي: أصابتك بشرٍّ وسوء كما جاء عن بعض السلف أيضا كمجاهد في رواية أخرى وقتادة وعبدالله بن كثير رحمهم الله[٣]، وعلى كل؛ فإن مقصدهم بهذا هو أنه بسبب سبِّك لآلهتنا فقد انتقمتْ منك بما ذُكر، أو يكون المراد: أن سبك إياها والطعن بها إنما هو لما لحق عقلك من التغير[٤]، وفي هذا حجة بينة على نسبتهم الضر إلى هذه الآلهة حيث خوفوا هودًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بها، وزعموا أنها أصابته بشرّ، وسمى ما عليه قومه شركًا بالله تعالى، فتبرأ منهم بأن أشهدَ اللهَ

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٤٣).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسيره (٧/ ٥٩)، وهذا لفظ مجاهد.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٥٩).

(٤) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٤٣٦)، والتفسير البسيط للواحدي (١١/ ٤٤٦)، تفسير الشوكاني (٢/ ٥٧٣).

على نفسه وأشهدَهم أيضًا أنه بريء من شركهم بالله تعالى تلك الأوثان والأصنام(١).

ومن تمام حجته عليهم؛ أن أظهر لهم عجز آلهتهم وعجزهم هم أنفسهم مع كثرتهم عن أن يكيدوه، فهو لا يخافهم، وهذا أعظم دليل على أنها لا تملك النفع والضر، وإنما هو بيد الله جل وعلا الذي خلقهم، فقال: ﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾، ثم ذكر لهم كمال ثقته بربه تعالى وأنهم لا يمكنهم أن يضروه بشيء؛ إذ إن الأمر كله بيده تعالى، فقال: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ ﴾ [هود: ٥٦].

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقال هود لهم: ﴿إِنِّيٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ﴾ على نفسي وأشهدكم أيضًا أيها القوم ﴿أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ في عبادة الله من آلهتكم وأوثانكم ﴿ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ﴾ يقول: فاحتالوا أنتم جميعًا وآلهتكم في ضري ومكروهي، ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴾ يقول: ثم لا تؤخروا ذلك، فانظروا هل تنالونني أنتم وهم بما زعمتم أن آلهتكم نالتني به من السوء؟»(٢)، ويقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد تضمن هذا المقام حجة بالغة ودلالة قاطعة على صدق ما جاءهم به، وبطلان ما هم عليه من عبادة الأصنام، التي لا تنفع ولا تضر، بل هي جماد لا تسمع ولا تبصر، ولا توالي ولا تعادي، وإنما يستحق إخلاص العبادة الله وحده لا شريك له؛ الذي بيده الملك وله التصرف، وما من شيء

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٤٨).

(٢) تفسير الطبري (٧/ ٥٨).

إلا تحت ملكه وقهره وسلطانه، فلا إله إلا هو ولا رب سواه»[(١)].

فظهر بهذا أن الخوف لا يكون إلا من الله تعالى الذي بيده النفع والضر، وأن هذه الأوثان لا تضر ولا تنفع، وأن اعتقاد النفع والضر بها هو من سبيل المشركين المحاربين للأنبياء والمرسلين المهددين إياهم بضرر معبوداتهم عليهم، فهو شرك أكبر حاربه الأنبياء والمرسلون، إذن هذه عبادة لا حق فيها لأحد من البشر بحال[(٢)].

٣- وكما أن الأمم السابقة خوّفت أنبياءها من آلهتهم؛ فكذلك الحال عند كفار قريش، الذين أرادوا تخويف النبي ﷺ منها، لئلا تصيبه بضر؛ فعلوا هذا بعد أن حذرهم من تلك المعبودات، وأمرهم بالإخلاص لله وحده، فقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٦-٣٨].

وهذا التخويف من كفار قريش للنبي ﷺ وصَفَه الله بالضلال والبعد عن التوحيد، وبين الله تعالى أنه كاف نبيه.

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٤٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٩٨).

وجاء في قراءة: (أليس الله بكاف عِبادَه) على الجمع، ويقصد بها إما محمدًا ﷺ ومن قبله من الأنبياء الذين خوفتهم أممهم من أن تنالهم آلهتهم بسوء على قول[١]، أو يكون المقصود بها الرسول ﷺ وأتباعه[٢]، أو يكون المقصود بها كل عباده المؤمنين المتوكلين عليه[٣]، ولعل الراجح والله أعلم أنها تشمل الأنبياء والمؤمنين بهم[٤]، وقد تكون القراءة الأولى راجعة إلى الثانية إذا قلنا بأن (عبده) اسم جنس[٥]، وهذه القراءة ثابتة مشهورة، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان مشهورتان في قراءة الأمصار، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، لصحة معنييها واستفاضة القراءة بهما في قراءة الأمصار»[٦]، ويكون المعنى أنه كما كفى الأنبياء قبلك يكفيك[٧].

وفي قوله: ﴿بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ دليل على شركهم به جل وعلا من لا يملك لنفسه النفع والضر، فهي دون الله تعالى لا تستحق العبادة، وفي هذا

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٧)، ومعاني القرآن للفراء (٢/ ٤٢٠)، وتفسير البغوي (٤/ ٦٩).

(٢) انظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٦/ ٥٠٩).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٢/ ١٣١)، وتفسير ابن عطية (٧/ ٣٩٦).

(٤) انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٨٠)، وأضواء البيان (٧/ ٣٤).

(٥) انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٨٠).

(٦) تفسير الطبري (١١/ ٧).

(٧) انظر: زاد المسير (٤/ ١٩).

تهكّم بهم لأنهم خوفوه بما لا يقدر على نفع ولا ضرر[١].

والشاهد من هذا: هو اعتقاد الكفار الذين خوفوا النبي ﷺ بتلك الآلهة، ووصفهم بالضلال، وهددهم بسبب شركهم.

ولتمام ثقة النبي ﷺ بربه وتوكله عليه وعدم التفاته إلى ما خوف به؛ حفظه الله تعالى وكفاه من كل شر.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ويخوفك هؤلاء المشركون يا محمد بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة أن تصيبك بسوء ببراءتك منها، وعيبك لها، والله كافيك ذلك»[٢]، وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذلك أنهم خوفوا النبي ﷺ مضرَّةَ الأوثان، فقالوا: أتسبُّ آلهتنا؟ لئن لم تكفَّ عن ذِكرها لتخبلنَّك، أو تصيبنَّك بسوء»[٣].

٤- قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وهذه الآية بين الله تعالى فيها ما يزينه الشيطان من تخويف الناس بأوليائه، فنهى عن الخوف منهم وأمر بأن يتوجه بالخوف له وحده جل وعلا، إذ إنه عبادة، فيكون صرفها لغير الله تعالى شركًا، فقوله: ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ ﴾ نهي عن إنزال عبادة الخوف بغيره، وهذا يدل

---

(١) انظر: البحر المحيط في التفسير (٩/ ٢٠٥).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٧).

(٣) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٨١).

على أنه نهيٌ عن أحد أفراد الشرك، ثم أمر بأن يخاف منه وحده فدل هذا على أنها عبادة من العبادات(١).

وهناك وجه آخر من الآية الكريمة يدل على ما تقدم، وهو قوله: ﴿ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾، فجعل من شرط الإيمان الخوف منه وحده جل وعلا، فإذا لم يخف منه تعالى لم يتحقق الشرط، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فجعل الخوف منه شرطًا في تحقق الإيمان، وإن كان الشرط داخلا في الصيغة على الإيمان فهو المشروط في المعنى، والخوف شرط في حصوله وتحققه، وذلك لأن الإيمان سبب الخوف الحاصل عليه، وحصول المسبب شرط في تحقق السبب، كما أن حصول السبب موجب لحصول مسببه، فانتفاء الإيمان عند انتفاء الخوف انتفاءٌ للمشروط عند انتفاءِ شرطه، وانتفاءُ الخوف عند انتفاءِ الإيمان انتفاءٌ للمعلول عند انتفاءِ علته، فتدبره. والمعنى: إن كنتم مؤمنين فخافوني»(٢).

وقد صدّر الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد هذه الآية في الباب المتعلق بالخوف، فقال: باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ليبين أن الخوف من الله عبادة واجبة، وصرفها لغير الله تعالى شرك.

فالخوف عبادة، وصرفها لغير الله تعالى من أشنع الشرك، قال الشيخ

(١) انظر: التمهيد شرح كتاب التوحيد (ص/ ٣٧٠).

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص/ ٢٦٨).

الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعلوم أن الخوف من تلك الأصنام من أشنع أنواع الكفر والإشراك بالله»[(١)].

وسبب كون الخوف من أشنع أنواع الكفر والإشراك بالله؛ أنه بسبب هذا الخوف تنوعت العبادات التي أدوها لها، فاتجه المشركون لمعبوداتهم ومن يدّعون فيهم الولاية، فطلبوا منهم الدعاء، واستغاثوا بهم، وطلبوا منهم الشفاعة، ونذروا لهم، وقدموا القرابين، وحلفوا بهم، وتعلقت قلوبهم بهم، مع عدم ملكها للنفع والضر، وأهملوا التوحيد الذي خلقهم الله من أجله، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ما أشنع الخوف من غيره.

وقد ورث هذا الخوف الشركي عن أولئك الكفار طوائف من القبوريين والرافضة وغيرهم، خافوا ممن زعموا فيهم الولاية من الأموات والأحياء أشد من خوفهم من الله تبارك وتعالى، واعتقدوا فيهم الضر والنفع، ومِثل ما حصل من السابقين: خوفوا عباد الله الصالحين الذين ينكرون عليهم شركهم، فهددوهم بسر الأموات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهؤلاء الذين يعتقدون أن القبور تنفعهم وتدفع البلاء عنهم؛ قد اتخذوها أوثانًا من دون الله، وصاروا يظنون فيها ما يظنه أهل الأوثان في أوثانهم، فإنهم كانوا يرجونها ويخافونها ويظنون أنها تنفع وتضر، ولهذا قالوا لهود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾، فقال هود: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓاْ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ إلى قوله: ﴿فَكِيدُونِى جَمِيعًا﴾ إلى قوله:

---

(١) أضواء البيان (٧/ ٣٧).

﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الزمر: ٥٤-٥٦]، وقد قال الله تعالى في قصة الخليل: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ إلى قوله: ﴿مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠ - ٨٢]، وقال الله تعالى لخاتم الرسل ﷺ بعد أن خاطب المشركين؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ إلى قوله: ﴿فَلَا تُنظِرُونِ﴾ [الأعراف: ١٩٤-١٩٥]، وقال: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ إلى قوله: ﴿قُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٦-٣٨]»(١).

وتجد هذا العابد للقبور والمشاهد والأضرحة لا يحلف بغير الله تعالى من الصالحين والأولياء والطواغيت كاذبًا، وفي مقابل هذا؛ يتجرأ على ذلك عند حلفه بالله تعالى، وما ذلك إلا لخوفه من مقدَّسه خوفًا أعظم من خوفه من خالقه، ويحدثنا الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذا المظهر الخطير والمنتشر لدى كثير من الناس في هذا الزمان؛ فيقول بعد أن ذكر أن من أقسام الخوف من غير الله تعالى خوف السر: «وهذا القسم هو الواقع اليوم من عباد القبور، فإنهم يخافون الصالحين بل الطواغيت، كما يخافون اللهَ بل أشد، ولهذا إذا توجهت على أحدهم اليمين بالله أعطاك ما شئت من الأيمان كاذبًا أو صادقًا، فإن كان اليمين بصاحب التربة لم يُقْدم على اليمين إن كان كاذبًا، وما ذاك إلا لأن المدفون في التراب أخوف عنده من الله، ولا ريب أن هذا ما

---

(١) الإخنائية أو الرد على الإخنائي (ص/ ١٩٥-١٩٦).

بلغ إليه شرك الأولين، بل جهد أيمانهم اليمين بالله تعالى، وكذلك لو أصاب أحدًا منهم ظلم لم يطلب كشفه إلا من المدفونين في التراب، وإذا أراد أن يظلم أحدًا فاستعاذ بالله أو ببيته لم يعذه، ولو استعاذ بصاحب التربة أو بتربته لم يقدم عليه أحدًا، ولم يتعرض له بالأذى.. وهذا الخوف لا يكون العبد مسلمًا إلا بإخلاصه لله تعالى وإفراده بذلك دون من سواه»[1].

ونظير هذا خوف اليهود والمنافقين من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، والذي ذكره الله تعالى في قوله: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣]، والرهبة: هي الخوف والخشية[2]، إلا أن الرهبة معها مخافة مع احتراز واضطراب[3]، وقد قيل: إن هذه الآية في بني النضير، وقيل في اليهود، وقيل في الفريقين كليهما[4]، فهم خافوا من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أشد من خوفهم من الله تعالى، وهذا لعدم فقههم بقدر الله تعالى، فقدموا مخافة المخلوق الذي لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرًّا على مخافة الخالق الذي بيده النفع والضر والعطاء والمنع[5]، ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ ولو كان لهم فقه لخافوا من الله تعالى أشد من خوفكم، فهو الأحق بالرهبة والخوف.

---

(١) تيسير العزيز الحميد (ص/ ٤٨٥).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٢٠/ ٣٧٦).

(٣) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص/ ٣٦٦).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣١)، تفسير القرطبي (٢٠/ ٣٧٦-٣٧٧).

(٥) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣١).

فأين موقع لا إله إلا الله من قلوب هؤلاء؟ فإن هذه الكلمة تقتضي ألا يخاف من غير الله تعالى خوف عبادة، لأن هذا لا يصلح إلا لله جل وعلا، وهي من خصائص الإلهية، فمن خاف غير الله تعالى خوف عبادة فقد قدح في إخلاصه في قول لا إله إلا الله، ولم يحقق التوحيد، وكان فيه من عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا من فروع الشرك بالله تعالى(١).

هذا ما يتعلق بحكم خوف السر، وهو كما ترى ظاهر في هذه الآيات وفي غيرها، وكلها تدل على أن من خاف غير الله تعالى أو خوّف بها الناس فهو مشرك، متبع لأعداء الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

المطلب الثاني
ضرر خوف السرّ من غير الله تعالى

لا يوجد ضرر أعظم من ضرر الشرك بالله عَزَّوَجَلَّ، ومنه الخوف من غير الله تعالى خوف السر، فإن من أعظم مضرته حبوط الأعمال والخروج عن دائرة الإسلام إلى الكفر، وما يلاقيه يوم القيامة من الخلود في نار جهنم إلى أبد الآبدين.

والمقصد من عقد هذا المطلب هو بيان أضرار الخوف من غير الله تعالى لأولئك الذين تعلقت قلوبهم بغير الله تعالى، فخافوا من غيره راهبين من معبوداتهم أن تصيبهم بسوء، **ألا وإن من أعظم أضرار الخوف من غير الله تعالى:**

---

(١) كلمة الإخلاص وتحقيق معناها لابن رجب (ص/ ٢٣-٢٤).

١ –أن من تعلق شيئا وكل إليه، بنص حديث رسول الله ﷺ حيث قال: (**من تعلق شيئًا وكل إليه**)(١)، وهذه من أشد العقوبات الدنيوية التي تلحق الخائف من غير الله تعالى، فإن الله تعالى إذا ترك العبد فقد أهلكه(٢)، فمن تعلق بالأولياء والصالحين من أصحاب القبور وغيرهم –وهو أساس الشرك وقاعدته –؛ فإن الله تعالى يكِلُه إليهم، وهذا أعظم الخذلان له، وهو كاف لمن كان له عقل في أن يعتبر في دينه ودنياه، بخلاف من تعلق قلبه بالله تعالى فلا يعبد إلا إياه ولا يتوكل إلا عليه، ولا يخاف إلا منه فإن الله تعالى كافيه.

وهذه حال المشركين عمومًا، حيث خذلهم الله تعالى، فلم يجدوا نصيرًا دونه، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴾ [الإسراء: ٢٢]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(فتقعد مذمومًا) على إشراكك، (مخذولًا)؛ لأن الرب تعالى لا ينصرك، بل يكلك إلى الذي عبدت معه، وهو لا يملك لك ضرًّا ولا نفعًا؛ لأن مالك الضر والنفع هو الله وحده لا شريك له»(٣).

فأعظم الناس خذلانًا من تعلق بغير الله، فإنّ ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو معرَّض للزوال والفوات، ومَثَل المتعلق بغير الله كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت؛

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣١/ ٧٧–٧٨)، والترمذي في جامعه، ك: الطب، باب: ما جاء في كراهية التعليق (ص/ ٤٧٦)، رقم (٢٠٧٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٤١)، رقم (٢٤١)، وحسنه الألباني في غاية المرام (ص/ ١٤٦–١٤٧).

(٢) تفسير السمعاني (٣/ ٢٣١).

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٦٥).

أوهن البيوت...»[١]، وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن تعلق شيئًا بقلبه وفعله وكل إليه، أي: وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه، فمن تعلقت نفسه بالله وأنزل حوائجه بالله والتجأ إليه وفوض أمره كله إليه؛ كفاه كل مؤونة، وقرب إليه كل بعيد، ويسّر له كل عسير، ومن تعلق بغيره أو سكن إلى علمه وعقله ودوائه وتمائمه واعتمد على حوله وقوته؛ وكله الله إلى ذلك وخذله، وهذا معروف بالنصوص والتجارب، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]»[٢].

وتأمل قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا معروف بالنصوص والتجارب»؛ فإنك لا تجد من خاف من غير الله تعالى خوف سر؛ إلا وكله الله تعالى إلى ما يخافه، فخذل من هذا الجانب، فمن خاف من القبور وأصحابها تجده مخذولًا لم يحصل ما يريد، بل لا يحصل إلا الآلام والعقوبات والنكال والفقر[٣]، ومن يخافه لا يستطيع دفع الشر عنه ولا تحويله ولا يستطيع نفعه، «والمخذول: هو الذي لا ينصره من كان يؤمل منه النصر»[٤]، والتعلق من هؤلاء قد يكون بقلوبهم أو بأفعالهم أو بهما معا[٥].

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٩٢).

(٢) تيسير العزيز الحميد (ص/ ١٦٩-١٧٠).

(٣) انظر: إغاثة اللهفان (٢/ ٢٤١).

(٤) أضواء البيان (٣/ ٨٥).

(٥) انظر: فتح المجيد (ص/ ١٢٤).

وكما أن من جعل مع الله إلهًا آخر يخافه ويرجوه مخذول غير منصور؛ فإن الموحد الذي أفرد ربه بالخوف وسائر أنواع العبادة فإنه محمود معان في جميع أحواله(١).

٢- عدم حصول الأمن والاهتداء لمن خاف غير الله تعالى، وقد تقدم هذا في قصة الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث قال: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨١-٨٢]، فإن من حقق التوحيد ولم يخف من غيره له الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة، وأما من أشرك به فخاف من غيره؛ فلا أمنَ له ولا اهتداء، فهو التجأ إلى ذلك المعبود وطلب الأمن، لكنه لم يحصله، وهذا واقع في كل من عبد غير الله تعالى، فإنه لم يحصل لهم شيء مما رغبوا فيه، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فحكم سبحانه للموحدين بالهدى والأمن، وللمشركين بضد ذلك، وهو الضلال والخوف»(٢).

ولذلك يحصل الاضطراب والخوف، والظلمة والوحشة للخائف، فإنه وإن فرّ إلى من يعتقد فيه النفع والضر إلا أنه غير مستقر بهذا، ولا مطمئن إليه تمام الاطمئنان، بل دائم المراقبة والتطلع والتشوف للضرر، فيحصل له به الهلاك والمضرة والاضطراب، وهذا من عظيم ضرر الخوف من غيره

---

(١) انظر: تفسير السعدي (ص/ ٥٢٩-٥٣٠).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٧٤).

تعالى، فلم تغنه تلك المعبودات من دون الله تعالى، فهو دائم التفكر فيها والخوف من ضررها ومن ظُلمها له، بخلاف الموحد الذي وحد الله تعالى فإنه لما خافه جل وعلا التجأ إليه فآمن وحصلت له الطمأنينة.

قال الله عَزَّوَجَلَّ عن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ وفسر النبي ﷺ الظلم هنا بالشرك، فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب النبي ﷺ وقالوا: أينا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه:** ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣](١).

فمنعوا من الأمن والاهتداء، واختص الموحدون بهما، فإن من سنة الله تعالى الكونية أن في الشرك الخوف والاضطراب، وفي التوحيد الأمن والاطمئنان، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «والخوف دائمًا مع الشرك، والأمن دائما مع التوحيد»(٢)، ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالتوحيد من أسباب الأمن من المخاوف، والشرك من أعظم أسباب حصول المخاوف، ولذلك من خاف شيئًا غير الله

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: ما جاء في المتأولين، (ص/ ١١٩٥)، رقم (٦٩٣٧)، ومسلم في صحيحه، ك: الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه، (ص/ ٦٦)، رقم (٣٢٧).

(٢) مفتاح دار السعادة (٣/ ٣٨٧).

سُلِّط عليه، وكان خوفه منه سب تسليطه عليه، ولو خاف اللهَ دونه ولم يخفه لكان عدم خوفه منه وتوكله على الله من أعظم أسباب نجاته منه»[١]، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمخلوق كلما خِفْتَه استوحشتَ منه وهربتَ منه، والله سبحانه كلما خفته أنستَ به وفررتَ إليه، والمخلوق يُخاف ظلمه وعدوانه، والله سبحانه إنما يُخاف عدله وقسطه»[٢].

وقال تعالى في حال المشركين الذين يخافون الجن فيستعيذون بسيدهم: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن: ٦]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول: أعوذ بعزيز هذا الوادي فزادهم إثما»[٣]، وقيل: بل زادوهم فرَقًا وخوفًا[٤]، قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان الإنس يعبدون الجن ويستعيذون بهم عند المخاوف والأفزاع، .. ويحتمل أن الضمير في (زادوهم) يرجع إلى الجن ضمير الواو، أي: زاد الجن الإنس ذعرًا وتخويفًا لما رأوهم يستعيذون بهم، فكان الإنسي إذا نزل بواد مخوف قال: (أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه)»[٥].

فانظر كيف ألجأهم الخوف إلى الشرك بالله والاستعاذة بغيره، فلم

---

(١) مفتاح دار السعادة (٣/ ٣٨٧).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٠٩).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (١٢/ ٢٦٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٢٦٣-٢٦٤).

(٥) تفسير السعدي (ص/ ١٠٥١).

يحصلوا إلا زيادة في الخوف واضطرابا، وهذه من أعظم العقوبات.

٣- عدم حصول مطلوبه، حيث يخذله الله جل وعلا، وهذا لأن تلك المعبودات لا تملك لنفسها النفع والضر فضلًا عن غيرها، فالله تعالى وحده هو الذي يكشف الكرب ويجيب من دعاه، وأما هؤلاء فعباد ضعفاء، وقد كثر ورود هذا في كتاب الله تعالى[١]، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن اعتماده على المخلوق، وتوكله عليه يوجب الضرر من جهته، فإنه يخذل من تلك الجهة، وهو أيضا معلوم بالاعتبار والاستقراء؛ ما علق العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب من تلك الجهة، ولا استنصر بغير الله إلا خذل، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾ [مريم: ٨١-٨٢]»[٢]، وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بل خوف المخلوق ورجاؤه أحد أسباب الحرمان ونزول المكروه بمن يرجوه ويخافه؛ فإنه على قدر خوفك من غير الله يسلط الله عليك، وعلى قدر رجائك لغيره يكون الحرمان»[٣].

وهذا والله حال عباد القبور، الذين يلتجئون إلى معبوداتهم ويخافون منها، فإنهم مخذولون محرومون لم يحصلوا مطلوبهم، ولم تنفس كربهم، وقد ازدادوا بعملهم هذا ضعفًا إلى ضعف، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٢٧).

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٩).

(٣) الفوائد لابن القيم (ص/ ١٣١-١٣٢).

المبحث الثالث

أسباب الخوف من غير الله تعالى

ذكر العلماء عدة أسباب للشرك[(١)]، كلها تصلح أن تكون أسبابا للشرك بالله تعالى في عبادة الخوف، وسأذكر هنا أهم ما يتعلق بالخوف من الأسباب التي وردت في النصوص الشرعية بخصوص الخوف من غيره جل وعلا، فمن أبرز أسباب خوف السر من غير الله تعالى:

المطلب الأول

الشيطان

توعد الشيطانُ بني آدم بحرفهم عن التوحيد الذي خلقهم الله من أجله، فقال تعالى: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [النساء: ١١٩-١٢٠].

وإن الشيطان من أسباب انحراف الناس عن هذه العبادة، فهو قد خوّف الناس من غير الله تعالى؛ من الأولياء والصالحين بزعمهم، وعظّمهم في قلوبهم، وزين لهم ذلك، قال تعالى مبينًا هذا، وناهيًا عن الخوف منهم، وموجبًا للخوف منه وحده: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ

(١) انظر مثلًا: إغاثة اللهفان لابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، قال الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد أجرى الله عادة الشياطين أنهم يخوفون الناس من أولياء الشياطين كما تقدم إيضاحه في تفسير قوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾، الأصل: يخوفكم أولياءه ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ وأنواع تخويف الشيطان الناسَ من أوليائه مختلفةٌ كما هو معروف»[1].

ومن ناحية أخرى فإن الشيطان حرَص أشد الحرص على الإغواء بتمثله في المعبودات من دون الله تعالى، حتى يغتر بها من يغتر من أهل الضلال، فيعتقدون فيها ويخافونها دون الله تعالى، بل إنه يتمثل بالأولياء والصالحين وبالطواغيت حتى يخافهم الناس، ولهم في ذلك حكايات، ومثل هذا تمامًا ما كان يحصل للمشركين من سماعِ كلامٍ وخطابٍ عند من يشرك به، إما الصنم وإما القبر وإما التمثال[2]، بل منهم من يرى صورة إنسان أو غير إنسان، وهذه الأمور من الشياطين وهي من جنس السحر والكهانة، ذكر هذا شيخ الإسلام[3]، وذكر طرفًا من تلك الحكايات في بعض كتبه، وذكر أن المستفيض في بلاد الهند أن الميت يأتي بعد موته فيحدثهم ويرد الودائع

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (٤/ ٤٢٩)

(٢) انظر: كتاب الأصنام للكلبي (ص/ ١٢)، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص/ ٣٢٧)، وإغاثة اللهفان (٢/ ٢٤٠).

(٣) انظر: قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ص/ ١٥٢)، واقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٧٤٨)، وتلخيص كتاب الاستغاثة (٢/ ٦٧٨).

ويقضي ديونًا، ثم يذهب، وهو شيطان جاء في صورته، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشيطان يُضل كثيرًا من الناس بمثل هذا، حتى إنه يقول لقرينه: أنت بعد الموت تغسل نفسك، أو: أنت تغيث من يأتي إلى قبرك، فيقول الشيخ لأصحابه: لا يغسلني أحد، أنا أغسل نفسي، ويرون بعد الموت أنه قد جاء في صورته وغسل نفسه، فيظنون أنه هو، وإنما هو الشيطان جاء في صورته، وكذلك قد يجيئون إلى قبره، فيجدون دراهم، أو غير ذلك، فيظنونه منه، وإنما هو من الشيطان»(١).

وعندئذ يكبُر هذا الأمر في قلب المشرك، ويظن أنه صاحب ولاية، فيخاف منه، ومن ثم يلتجئ إليه ليدرأ عنه الشر ويجلب له الخير.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والشيطان يضل بني آدم بحسب قدرته، فمن عبد الشمس والقمر والكواكب ودعاها -كما يفعل أهل دعوة الكواكب-، فإنه ينزل عليه شيطان يخاطبه ويحدثه ببعض الأمور، ويسمون ذلك روحانية الكواكب، وهو شيطان، والشيطان وإن أعان الإنسان على بعض مقاصده، فإنه يضره أضعاف ما ينفعه، وعاقبة من أطاعه إلى شر، إلا أن يتوب الله عليه»(٢).

---

(١) قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق (ص/ ١٥٦)، وانظر: (ص/ ١٥٤).

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص/ ٣٣٧-٣٣٨).

المطلب الثاني
الكذب والحكايات الباطلة

وهذا الباب ولج منه أهل الضلال لتخويف الناس من غير الله تعالى، حيث إن قلوب كثير من الناس تعلقت بمثل تلك القصص والحكايات وصدَّقَتْها، فيقولون لهم: إن صاحب القبر الفلاني يضر من لم يتقرب إليه ومن لم يدعه دون الله تعالى، ويأتون بقصص مكذوبة، مفادها أنه وقع فلان في مصيبة إذ لم يتقرب لهذا المقبور ونحو ذلك، وأن صاحب القبر الفلاني هو الترياق المجرّب، وبعضها قد يقع كما هو، وهو من تزيين الشيطان كما تقدم.

وإذا كان المنقول حديثًا عن النبي ﷺ فإنه لا يجوز التمسك به حتى يثبت عنه، فكيف بأمثال تلك الحكايات المظلمة المنقولة عن المجاهيل وعباد القبور؟!

ومن أمثلة هذا في العصر الحديث ما يروجه أهل الضلال -ليشككوا الناس في عقيدتهم ويربطوا قلوبهم بغير الله تعالى- من قصص مكذوبة ملفقة، مرهبين الناسَ من إهمالها؛ من أشهرها قصة أحمد خادم الحرم النبوي الشريف، أو خادم الحجرة النبوية، أو حامل مفاتيح الحجرة، والتي تنتشر بين أوساط المسلمين في نشرات مختلفة بعض الشيء في ألفاظها، وراجت على كثير من الناس. وليصدقهم الناس؛ ذكروا أن من يهمل هذه الوصية ولا يأخذ بها لا ينال الشفاعة، وسيسوّد وجهه في الدنيا والآخرة،

وبأنه كفر، وسيصيبه كذا وكذا، ومن اهتم بها وكتبها ونشرها حصل له الرزق والسعادة، وذكروا أمورًا عديدة لا تحصل لكاتب القرآن الكريم فضلًا عن كلام مزيف، يدَّعي صاحبه تشريعًا غير تشريع الله، وثوابًا لم يدل عليه كتاب الله ولا سنة نبيه ﷺ(١).

وهذا مزلق خطِر للغاية، حيث أرهبوا الناس بذكر قصص باطلة عن مجهولين لا يعرفون بعدالة ولا أمانة، وهاهم أمم كثيرة من الناس لم يكتبوا هذه الرسالة، ولم ينشروها، ولم يحصل لهم ما ذكر فيها من التخويف، بل ومزقوها وحذروا منها، فلم يصبهم بحمد الله شيء، وفي المقابل كتبها كثير من الناس، ونشروها، ولم يحصل لهم الخير المزعوم فيها.

ولسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة خاصة في هذه النشرة قال في مقدمتها مبينًا سبب كتابته للرسالة: «ولقد نبهت عليها في السنوات الماضية، وبينت للناس أنها من أوضح الكذب، وأبين الباطل، فلما اطلعت على هذه النشرة الأخيرة ترددت في الكتابة عنها، لظهور بطلانها، وعظم جراءة مفتريها على الكذب، وما كنت أظن أن بطلانها يروج على من له أدنى بصيرة، أو فطرة سليمة، ولكن أخبرني كثير من الإخوان أنها قد راجت على كثير من الناس، وتداولوها بينهم، وصدَّقها بعضهم»(٢).

---

(١) انظر: تنبيه هام على كذب الوصية المنسوبة للشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف للشيخ ابن باز (ص/ ٢٩ - ضمن أربع رسائل في التحذير من البدع).

(٢) المرجع السابق (ص/ ٢٣-٢٤ - ضمن أربع رسائل في التحذير من البدع).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من الأمور الدالة على أن هذه الوصية من أبطل الباطل وأوضح الكذب قوله فيها: (ومن يصدق بها ينجو من عذاب النار، ومن كذب بها كفر) وهذا أيضًا من أعظم الجرأة على الكذب ومن أقبح الباطل، يدعو هذا المفتري جميع الناس إلى أن يصدقوا بفريته، ويزعم أنهم بذلك ينجون من عذاب النار، وأن من كذب بها يكفر، لقد أعظم والله هذا الكذاب الفرية، وقال والله غير الحق، إن من صدق بها هو الذي يستحق أن يكون كافرًا لا من كذب بها..»[١]، وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ونحن نحاربها من عشرات السنين، ولم نر إلا خيرًا، كل هذا شيء باطل، لا ينبغي التعلق به»[٢].

ولا زالت تلك الوصية تنتشر بين فينة وأخرى إلى اليوم، يرهبون بها عباد الله ويطلبون منهم نشرها عبر المواقع الالكترونية، مع قصص أخر مشابهة لها، كانت من أسباب انحراف الناس في هذا الباب الخطير، وفرارهم إلى من يزعمون فيه الولاية، مصدّقين ما يزعمونه كرامات، يخافون من إنكارها حتى لا يصبهم شيء من أسرار هذا الولي، وأنكروا على أهل السنة كفرهم بهم وبما يزعمونه في حقهم، مهددين بحصول الضرر والفساد لهم.

وهذا بعينه هو فعل المشركين الذين تقدم قولهم وتهديدهم وتخويفهم لأنبيائهم بإصابة معبوداتهم إياهم، فاستعانوا بالله وتوكلوا عليه، وحاربوا كل ما عبد من دون الله، فلم يصبهم شيء.

---

(١) المرجع السابق (ص/ ٢٩-٣٠ ضمن أربع رسائل في التحذير من البدع).

(٢) فتاوى نور على الدرب (٣/ ٢٥٨).

المطلب الثالث
عدم استشعار عظمة الله تعالى

وهذا الأمر واضح لدى الخائفين من غير الله تعالى –خوف السر–، فإن خوفهم من المخلوق ورهبتهم منه، أعظم من خوفهم من الله جل وعلا، وقد تقدم من صور هذا أن يحلف الواحد منهم بالله كاذبًا ولا يستطيع أن يحلف بمن يخاف منه من المخلوقين إلا صادقًا، بل منهم من يرى أن دعاء النبي ﷺ والاستغاثة به أفضل من الاستغاثة بالله تعالى ودعائه، ومنهم من يقصد القبر ويعظمه ويبكي عنده ويخضع ويتضرع ويدعو ويحصل له من حضور القلب ما لا يحصل مثله في الصلوات الخمس والجمعة وقيام الليل وقراءة القرآن، ومنهم من يحكي أن بعض المريدين استغاث بالله تعالى فلم يغثه، فاستغاث بشيخه فأغاثه[1].

وقد ذكر هذا إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ كما تقدم، فقد قال لقومه لما خوفوه بمعبوداتهم: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾، فهم لم يخافوا من الله تعالى وأرادوا تخويفه من تلك المعبودات، يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان المشركون يخوّفون المؤمنين بآلهتهم، ويقولون: إنكم إذا لم تتخذوها شركاء وشفعاء فإنها تضركم، فأنكر

(١) انظر: تلخيص كتاب الاستغاثة (٢/ ٦٧٤-٦٧٧).

الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقال: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ﴾، أي: كيف أخاف ما تدْعونه من دون الله وهو لا يضر ولا ينفع إلا بإذن الله، وأنتم لا تخافون الله حيث أشركتم به، فجعلتم له أندادًا، فأعدلتموهم به، تدعون من دونه؟»[١]، ويقول كذلك: «ومن هؤلاء من يحلف بالله ويكذب، ويحلف بشيخه وإمامه فيصدق ولا يكذب، فيكون شيخه عنده أعظم في صدره من الله تعالى، وقد قال شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [هود: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[الحشر: ١٣]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾[البقرة: ١٦٥]»[٢].

ويقول الشيخ عبدالله ابن الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُمَاٱللَّهُ مقارنًا بين عمار بيوت الله وعمار المشاهد والمقابر: «فَعُمّار مساجد الله لا يخشون إلا الله، وعُمّار مشاهد المقابر يخشون غير الله، حتى إن طائفة من أرباب الكبائر الذين لا يخشون الله فيما يفعلونه من القبائح؛ كان أحدهم إذا رأى قبة الميت أو الهلال الذي على رأس القبة يخشى من فعل الفواحش، ويقول أحدهم لصاحبه: ويحك هذا هلال القبة، فيخشون المدفون تحت الهلال، ولا يخشون

(١) جامع المسائل (٤/ ٣٧).

(٢) تلخيص كتاب الاستغاثة (٢/ ٦٧٨-٦٧٩).

الذي خلق السموات والأرض وجعل أهلة السماء مواقيت للناس والحج، وهؤلاء إذا نوظروا خوَّفوا مناظَرهم كما صنع المشركون بإبراهيم»(١).

وقد ذكر الله تعالى هذا عن اليهود والمنافقين كذلك الذين لم يستشعروا الخوف من الله تعالى، بل كان خوفهم من المخلوقين أعظم من خوفهم من الله تعالى، فقال جلا وعلا: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الحشر: ١٣]، فتركوا الخوف من الله تعالى الذي هو الأحق بهذه العبادة، وخافوا من المخلوق الضعيف، وهذا دليل على نقصان عقلهم، حيث لم يقدروا الله حق قدره، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ دليل على عدم استشعارهم الخوفَ من الله تعالى وعلى تنزيلهم المخلوقَ منزلة الخالق في هذه العبادة حتى كانوا يرهبون من الصاحبة أكثر من الله تعالى، ولو كان عندهم فقه لخافوا من الخالق أكثر من خوف المخلوق، قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره: هذه الرهبة التي لكم في صدور هؤلاء اليهود التي هي أشد من رهبتهم من الله من أجل أنهم قوم لا يفقهون قدر عظمة الله فهم لذلك يستخفّون بمعاصيه ولا يرهبون عقابه قدر رهبته منكم»(٢)، وقال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لا يعلمون عظمة الله وقدرته فيخافون منه»(٣).

---

(١) الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة (ص/ ٣٥٨).

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٤٥).

(٣) تفسير السمعاني (٥/ ٤٠٥)

المبحث الرابع

علاج الخوف من غير الله تعالى

وهذه المسألة من أهم مسائل هذا البحث، وأرى أن على الدعاة إلى الله أن يهتموا بهذا العلاج القرآني الآتي ذكره، حتى يجتثوا الشرك من قلوب الناس، وينزعوا الرهبة التي جعلها أعداء الرسل عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ في صدورهم.

إن مما يساعد على الخوف من الله تعالى، وعدم الخوف من غيره عدة أمور ذكرها الله تعالى في كتابه وذكرها النبي ﷺ، وسأعرض هنا أهم تلك الأمور التي ذكرت في الكتاب والسنة:

المطلب الأول

معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته

فإن من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الله تعالى له الأسماء والحسنى والصفات العلا، وهم يثبتون تلك الصفات على الوجه اللائق بجلاله تبارك وتعالى، كما يعتقدون بآثارها.

وقد حث النبي ﷺ على تعلم تلك الأسماء الحسنى وإحصائها فقال: **(إن لله تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا من أحصاها دخل الجنة)**[1]، ألا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الشروط، باب: ما يجوز من الاشتراط والثنايا في الإقرار.. (ص/ ٤٥١)، رقم (٢٧٣٦)، ومسلم في صحيحه، ك: الذكر والدعاء، باب: في أسماء الله الحسنى وفضل من أحصاها، (ص/ ١١٦٧)، رقم (٦٨١٠).

وإن من عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته فإنه لا بد أن يؤثر هذا على قلبه، فيخاف الرب تبارك وتعالى وحده ويخشاه، ولا يشرك في هذه العبادة أحدًا من خلقه، وتنقطع علائق خوفه من غيره جل وعلا، فكلما كان العبد أعرف بالله تعالى؛ كان أكمل في الخوف منه من غيره، وبذا تميز أهل العلم كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، قال طائفة من السلف: أي: العلماء به تبارك وتعالى[(١)]، وهذا أحد الأقوال في الفرق بين الخوف والخشية؛ فإن الخوف لعامة المؤمنين، وأما الخشية فللعلماء العارفين[(٢)]، فالخشية نوع من الخوف لكنه أخص منه، وذكر بعض العلماء نحو هذا في الفرق بين الخوف والخشية من وجهين؛ الأول: أن الخشية تكون مع العلم بالمخشي وحاله، والخوف قد يكون من الجاهل. الوجه الآخر: أن الخشية تكون بسبب عظمة المخشي بخلاف الخوف فقد يكون من ضعف الخائف لا من قوة المخوف[(٣)].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به، لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى = كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل؛

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٤٠٩)، وتفسير السمعاني (٤/ ٣٥٧)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٨٢).

(٢) انظر: مدارج السالكين (١/ ٥٥٠).

(٣) انظر: القول المفيد (٢/ ١٧٠-١٧١).

كانت الخشية له أعظم وأكثر»[١]، وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكل من كان بالله أعلم؛ كان أكثر له خشية»[٢].

لذا كان خوف الملائكة والأنبياء المرسلين أعظم من خوف آحاد الناس، فإنه متى كان العبد أقرب إلى الله كان خوفه منه أشد، وضرب ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثلًا مشاهَدًا بهذا، وهو أن الماثل بين يدى أحد الملوك المشاهِد له؛ أشد خوفًا منه من البعيد عنه، بحسب قربه منه، ومنزلته عنده، ومعرفته به وبحقوقه، وأنه يطالب من حقوق الخدمة وأدائها بما لا يطالب به غيره، فهو أحق بالخوف من البعيد[٣].

ونبينا محمد ﷺ يقول: (**إن أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**)[٤]، وفي رواية: (**والله إني لأرجو أن أكون أخشاكم لله، وأعلمكم بما أتقي**)[٥]، وذلك لكمال معرفته بربه تبارك وتعالى.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما زاد علمه بالله لمعنيين: أحدهما: زيادة معرفته بتفاصيل أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه وعظمته وكبريائه وما

---

(١) تفسير ابن كثير (١١/ ٣١٩-٣٢٠).

(٢) تفسير السعدي (ص/ ٨٠٩).

(٣) طريق الهجرتين (ص/ ٢٧٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، ك: الإيمان، باب: قول النبي ﷺ: (أنا أعلمكم بالله)، (ص/ ٦)، رقم (٢٠).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، ك: الصيام، باب: صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب (ص/ ٤٥٣) رقم (٢٥٩٣).

يستحقه من الجلال والإكرام والإعظام. والثاني: أن علمه بالله مستند إلى عين اليقين، فإنه رآه إما بعين بصره أو بعين بصيرته»[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض حديثه عن الخوف: «فكلما كان العبد بالله أعلم؛ كان له أخوف، قال ابن مسعود: (وكفى بخشية الله علمًا)، ونقصان الخوف من الله إنما هو لنقصان معرفة العبد به، فأعرف الناس أخشاهم لله، ومن عرف الله اشتد حياؤه منه وخوفه له وحبه له، وكلما ازداد معرفة ازداد حياء وخوفًا وحبًا، فالخوف من أجل منازل الطريق، وخوف الخاصة أعظم من خوف العامة، وهم إليه أحوج، وهو بهم أليق، ولهم ألزم»[٢].

وإن من أعظم الظلم أن لا يخاف العبد من ربه الذي خلقه المتصف بالصفات العلا، ويخاف من المخلوق الضعيف المحتاج إلى غيره -خوفَ السر-، ولو أنه تفكر في أسماء الرب تبارك وتعالى وعرف معانيها وما تدل عليه؛ لم يشرك به غيرَه طرفة عين.

والمتأمل في قصص الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ مع أقوامهم عند تخويفهم إياهم بمعبوداتهم؛ يجد أنهم يذكرون الله تعالى بأوصافه التي تقتضي أن يكون خوف السر منه وحده دون ما سواه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولما علم نبي الله هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن ربه على صراط مستقيم في خَلقه وأمْره ونهيه، وثوابه وعقابه، وقضائه وقدره، ومنْعه

(١) فتح الباري (١/ ٨٩).
(٢) طريق الهجرتين (ص/ ٢٦٩).

وعطائه، وعافيته وبلائه، وتوفيقه وخذلانه، لا يخرج في ذلك عن موجب كماله المقدس، الذي تقتضيه أسماؤه وصفاته، من العدل والحكمة والرحمة والإحسان والفضل، ووضع الثواب موضعه، والعقوبة في موضعها اللائق بها، ووضع التوفيق والخذلان والعطاء والمنع والهداية والإضلال، كل ذلك في أماكنه ومحاله اللائقة به، بحيث يستحق على ذلك كمال الحمد والثناء؛ أوجب له ذلك العلم والعرفان، إذ نادى على رؤوس الملأ من قومه بجنان ثابت وقلب غير خائف بل متجرد لله: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود: ٥٤-٥٦]، ثم أخبر عن عموم قدرته وقهره لكل ما سواه، وذل كل شيء لعظمته، فقال: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ ، فكيف أخاف مَن ناصيتُه بِيَد غيره، وهو في قهره وقبضته وتحت قهره، وسلطانه دونه؟ وهل هذا إلا من أجهل الجهل، وأقبح الظلم؟»[(١)].

وقال: «فقال إبراهيم: إن أصابني مكروه فليس ذلك من قبل هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله، وهي أقل من ذلك، فإنها ليست مما يُرجى ويُخاف، بل يكون ذلك الذي أصابني من قبل الحي الفعال، الذي يفعل ما يشاء، الذي بيده الضر والنفع، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

ثم ذكر سعة علمه سبحانه في هذا المقام منبهًا على موقع احتراز لطيف

---

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص/ ٢٤٧).

وهو: أن لله سبحانه علمًا فيّ وفيكم وفي هذه الآلهة لا يصل إليه علمي، فإذا شاء أمرًا من الأمور فهو أعلم بما يشاء، فإنه وسع كل شيء علمًا، فإذا أراد أن يصيبني بمكروه لا علم لي من أي جهة أتاني، فعلمه محيط بما لم أعلمه، وهذا غاية التفويض والتبري من الحول والقوة وأسباب النجاة، وأنها بيد الله لا بيدي، وهكذا قال شعيب لقومه: ﴿ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ ﴾ [الأعراف: ٨٩]، فردّت الرسل العلم بما يفعله الله إليه، وأنه إذا شاء شيئًا؛ فهو أعلم بما يشاؤه، ولا علم لنا بامتناعه وعدم كونه»(١).

وهذا بخلاف أهل الضلال الذين خافوا من معبوداتهم أكثر من خوفهم من الله تعالى، فالصابئة الذين دعاهم الخليل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كانوا يرهبون من الكواكب، ولذا توجهوا إليها بالعبادة، وكذا من وصف الله تعالى بعدم القدرة على الفعل لم يخفه، ومنهم الدهرية الفلاسفة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن من جعله غير قادر على إحداث فعل، ولا تغيير شيء من العالم، بل لزمه ما لا يمكنه مفارقته؛ لم يخشه، إنما يخشى الكواكب والأفلاك التي تفعل الآثار الأرضية عنده، أو ما كان نحو ذلك، ولهذا عبدها هؤلاء من دون الله، ولهذا كان دعاؤهم لها وخشيتهم منها. ولهذا تبرأ الخليل من مخافتها لما ناظرهم في عبادة الكواكب

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٨٧-٤٨٨).

والأصنام، وقال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]. قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١﴾، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾، فإن المشركين يخافون المخلوقات من الكواكب وغيرها، وهم قد أشركوا بالله، ولا يخافون اللهَ إذ أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا، وإنما يخشاه من عباده العلماء، الذين يعلمون أنه على كل شيء قدير، وأنه بكل شيء عليم، فهؤلاء الدهرية الفلاسفة وأمثالهم لا يخافون الله تعالى»[1].

وتمعن في قول إبراهيم الخليل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗا﴾ كيف علق الأمر كله بمشيئة ربه جل وعلا، فهو القادر على كل شيء، لا يقع شيء إلا بمشيئته وقدرته، وأما تلك المعبودات فلا مشيئة لها ولا قدرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن آلهتكم أقل وأحقر من أن تضرَّ مَن كَفَر بها وجحد عبادتها. ثم رد الأمر إلى مشيئة الله وحده، وأنه هو الذى يخاف ويرجى؛ فقال: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗا﴾، وهذا استثناء منقطع، والمعنى: لا أخاف آلهتكم، فإنها لا مشيئة لها ولا قدرة، لكن إن شاء ربي شيئًا نالني

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٣٨٢-٣٨٣).

وأصابني، لا آلهتكم التي لا تشاء ولا تعلم شيئًا، وربي له المشيئة النافذة، وقد وسع كل شيء علمًا، فمَن أولى بأن يخاف ويعبد: هو سبحانه، أم هي؟ ثم قال: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾: فتعلمون ما أنتم عليه من إشراك من لا مشيئة له ولا يعلم شيئًا ممن له المشيئة التامة، والعلم التام»[1].

وهذا نبينا محمد ﷺ بعد أن ذكر الله تخويف قومه له، أمَره الله تعالى أن يذكّرهم بأن النفع والضر بيده تبارك وتعالى وحده الذي خلق السماوات والأرض بشهادتهم؛ فقال: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقل: حسبي الله مما سواه من الأشياء كلها، إياه أعبد، وإليه أفزع في أموري دون كل شيء سواه، فإنه الكافي الذي بيده الضر والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع»[2].

فإذا علم العبد أن الأمر كله لله، وأن مشيئته نافذة لا محالة، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى؛ علم ضعف كل أحد سواه، وافتقاره إلى خالقه ومولاه، ولو اجتمع الأحياء والأموات على ضره؛ فإنهم لا يضرونه بشيء -مهما حرَصوا- إلا بما كتبه جل وعلا، فعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال: (**يا غلام إني أعلمك كلمات،**

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ٢٧٣).

(٢) تفسير الطبري (١١/ ٨).

احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)[١].

فالواجب على العبد أن يخلص هذه العبادة لله تعالى وأن يستشعر عظمة الله تعالى وأنه هو وحده من بيده الضر والنفع وأن كل ما سواه مربوب مخلوق مفتقر إليه، وأن يتدبر معاني الأسماء الحسنى والصفات العلا والتي تزيد في إيمانه ويقينه.

المطلب الثاني

معرفة ما عليه المخلوق المربوب من الضعف والحاجة إلى خالقه

تقدم قريبًا أن من أعظم أسباب قطع علائق خوف السر من غير الله تعالى عن القلب هو معرفة الله تبارك وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا؛ حيث تورث في قلبه إخلاص هذا الخوف لله تعالى دون ما سواه.

وفي مقابل هذا ينبغي للعبد أن يتفكر في حال المخلوق وحاجته إلى ربه تبارك وتعالى، فهو لا يملك النفع والضر لنفسه ولا لغيره، «وليس في الوجود الممكن سبب واحد مستقل بالتأثير، بل لا يؤثر سبب ألبتة إلا

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٣٠٣)، والترمذي في جامعه، ك: صفة القيامة، (ص/ ٥٧٢)، رقم (٢٥١٦)، واللفظ له وقال: هذا حديث حسن صحيح.

بانضمام سبب آخر إليه، وانتفاء مانع يمنع تأثيره، وكل ما يُخاف ويرجى من المخلوقات فأعلى غاياته أن يكون جزء سبب غير مستقل بالتأثير، ولا يستقل بالتأثير وحده دون توقف تأثيره على غيره إلا الله الواحد القهار، فلا ينبغي أن يرجى ولا يخاف غيره، ولو فُرِض أن ذلك سبب مستقل وحده بالتأثير؛ لكانت سببِيَّته من غيره لا منه، فليس له من نفسه قوة يفعل بها، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فالحول والقوة التي يرجى لأجلهما المخلوق ويخاف إنما هما لله وحده وبيده في الحقيقة، فكيف يخاف ويرجى من لا حول له ولا قوة؟»[1]، فالأصنام والأموات وعموم المعبودات هي ضعيفة لا تتكلم ولا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر ولا تقبل الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧]، فانظر كيف قطع الشرك من عروقه، وأوضح أن هؤلاء المدعوين من دونه لا يملكون كشف الضر ولا تحويله عنكم، بل هم محتاجون إلى خالقهم، ولذلك توجهوا إليه بعبادة الخوف والرجاء دون غيره من المخلوقات.

وكما قال تعالى في قصة تكسير إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لآلهة قومه: ﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص/ ١٣١) بتصرف يسير.

﴿هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٧﴾ [الأنبياء: ٦٣-٦٧]، وكما قال في قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٨]، وكما قال في شأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأمه: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٧٥ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ٧٦﴾ [المائدة: ٧٥-٧٦]، وغيرها من النصوص.

فإذا كان هذا حالها؛ فكيف يخاف منها ويعتقد ضررها على نفسه وأهله وماله؟!

ولقد كان هذا من حجج إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إذ خوفه قومه بشفعائهم؛ أن قال: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن هؤلاء المشركين الشرك الأكبر والأصغر يخوّفون المخلصين بشفعائهم، فيقال لهم: نحن لا نخاف هؤلاء الشفعاء الذين لكم، فإنهم خلقٌ من خلقِ الله، لا يضرون إلا بعد مشيئة الله، فمن مسه بضر فلا كاشف له إلا هو، ومن أصابه برحمة فلا راد لفضله، وكيف نخاف هؤلاء المخلوقين الذين جعلتموهم شفعاء وأنتم

لا تخافون الله، وقد أحدثتم في دينه من الشرك ما لم يُنزل به وحيًا من السماء؟ فأي الفريقين أحق بالأمن؟ من كان لا يخاف إلا الله، ولم يبتدع في دينه شركاء؟ أم من ابتدع في دينه شركًا بغير إذنه؟ بل من آمن ولم يخلط إيمانه بشرك فهؤلاء من المهتدين، وهذه الحجة المستقيمة التي يرفع الله بها وبأمثالها أهل العلم»[١].

وذكرهم إبراهيم الخليل بهذا فقال لقومه: ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أي: أفلا تعتبرون أن هذه الآلهة باطلة فتنزجروا عن عبادتها؟[٢]

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾: «ثم لما بين لهم –أي هود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ– توكله على الله، وثقته بحفظه وكلاءته؛ وصفه بما يوجب التوكل عليه، والتفويض إليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم، وأنه مالك للجميع، وأن ناصية كل دابة من دواب الأرض بيده، وفي قبضته وتحت قهره، وهو تمثيل لغاية التسخير ونهاية التذليل»[٣].

وقال تعالى مرشدًا نبيَّه ﷺ أن يقول لقومه بعد أن خوفوه بآلهتهم: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ فهذه الأصنام لا تستطيع أن

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٨٩)، وانظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٤٨٧).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٠).
(٣) تفسير الشوكاني (٢/ ٥٧٣).

تكشف الضر الذي ينزله الله تعالى، ولا تستطيع أن تمنع رحمة أرادها، قال ابن أبي زمنين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول: لا يقدرن أن يكشفن ضرًّا ولا يمسكن رحمة»[١].

وانظر كيف وصف الله تعالى تلك المعبودات بأنها دونه فقال: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ وهذا ليظهر حقارتها وأنها لا تملك شيئا[٢].

والشاهد من هذا كله؛ أن معرفة ضعف المخلوق المربوب لهو أكبر مُعين على هدم أسّ الخوف من غير الله تعالى؛ إذ إن من أقبح الشرك أن يخاف المرء ممن لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا فضلًا عن إملاكه لغيره.

المطلب الثالث
التوكل على الله تعالى

فإن من توكل على الله كفاه وهو حسبه، والتوكل على الله تعالى والثقة به من أعظم أنواع العبادات، ومن أعظم ما يدرأ به الإنسان عن نفسه الشرك بالله تعالى، ومنه الخوف من غيره جل وعلا[٣]؛ إذ إن التوكل على الله تعالى يدل على تعلق القلب بالخالق جل وعلا، وعدم الالتفات إلى المخلوق، فهو بمعنى التفويض؛ أي: تفويض الأمور إلى الله سبحانه[٤]، كما أن فائدة

---

(١) تفسير القرآن العزيز (٤/ ١١٣).

(٢) انظر: نظم الدرر (١٦/ ٥١٠).

(٣) القول السديد في مقاصد التوحيد (٣٥- ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

(٤) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٢٠)، وإعانة المستفيد (٢/ ٨١).

التوكل تظهر في حفظ الله تعالى للعبد كما حصل مع الأنبياء عندما خوفهم أقوامهم من معبوداتهم.

وإن من التفت إلى المخلوق فصرف له هذه العبادة وهي الخوف من غير الله تعالى؛ فإنه توكل على غير الله والتجأ إلى الضعيف الذي لا يملك النفع والضر، لذا يوكله الله تعالى إلى من توكل عليه كما سبق؛ إذ إنه «لا يستقيم توكل العبد حتى يصح توحيده، بل حقيقة التوكل: توحيد القلب، فما دامت فيه علائق الشرك؛ فتوكله معلول مدخول، وعلى قدر تجريد التوحيد تكون صحة التوكل، فإن العبد متى التفت إلى غير الله؛ أخذ الالتفات شعبة من شعب قلبه، فنقص من توكله على الله بقدر ذهاب تلك الشعبة»[1].

وقد دلّنا الله تعالى إلى هذا كثيرًا في كتابه، وأوضح أن من توكل على الله تعالى فإنه لا يضره شيء من تلك المعبودات إطلاقًا، فهو حسبه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٩]، (عَزِيزٌ) أي: «لا يُضام من التجأ إليه، فإن الله عزيز منيع الجناب عظيم السلطان، (حَكِيمٌ) في أفعاله لا يضعها إلا في مواضعها، فينصر من يستحق النصر، ويخذل من هو أهل لذلك»[2].

ولذا ذكر الله تعالى هذا عن أنبيائه عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ؛ فإننا نجد في سيرة الأنبياء والمرسلين أنهم عند تخويف أقوامهم لهم بآلهتهم؛ أنهم يلجأون إلى الله

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٢٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٠٤).

تعالى ويتوكلون عليه فهو حسيبهم وكافيهم، وفي هذا أعظم عبرة لأولئك الذين تعلقت قلوبهم بغير الله تعالى؛ خائفين من إصابة تلك المعبودات أنفسَهم أو أولادَهم أو أموالَهم ونحو ذلك:

- فإبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما خوفه قومه من غضب معبوداتهم؛ ذكر توكله على الله عَزَّوَجَلَّ، وأنه موقن به ألا تصيبه تلك المعبودات، وأنه إن أصابه شيء فبتقدير الله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقال إبراهيم: إن أصابني مكروه فليس ذلك من قبل هذه الأصنام التي عبدتموها من دون الله، وهي أقل من ذلك، فإنها ليست مما يرجى ويخاف؛ بل يكون ذلك الذي أصابني من قبل الحي الفعال الذي يفعل ما يشاء، الذي بيده الضر والنفع، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد»[(١)].

- وكذا لما خوفوا هودًا عَلَيْهِ السَّلَامُ بقولهم: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٤-٥٦].

ففي هذه الآيات أعظم الدلالات على شدة توكل هود عَلَيْهِ السَّلَامُ على ربه، ويظهر هذا مما يلي:

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٨٧).

١-أنه عَلَيْهِ السَّلَامُ أشهد اللهَ تعالى وأشهدَهم أنه بريء من شركهم ومن معبوداتهم، وهذا من تمام ثقته بالله جل وعلا، قال الواحدي: «يعني: إن كانت عندكم عاقبتني لطعني كان عليها؛ فإني الآن أزيد في الطعن، أي: إني متيقن بطلان ما تقولون؛ لبصيرتي في البراءة منها والعيب لها والإنكار لعبادتها»[١].

٢-تحدى قومَه جميعا -مع كثرتهم وقوتهم- في هذا الأمر وأعلنه، ولم يسكت بعد تخويفهم إياه، وهذا لا يكون إلا من قلبٍ امتلأ توكلًا على الله تعالى وثقة به، و«هذا من أعظم آيات الأنبياء أن يُقبل النبي على قومه مع كثرة عددهم واجتماع كلمتهم على عداوته، فيقول لهم هذا القول، وهذا للثقة بنصر الله تعالى إياه، وأنهم لا يَصِلون إليه، وكذلك قال نوح لقومه: ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا تُنظِرُونِ﴾ [يونس: ٧١]»[٢]، والأمر في قوله تعالى: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا﴾ هو للتعجيز، أي: لا تقدرون أنتم ولا آلهتكم على شيء[٣]، وفي هذا من إظهار عدم المبالاة بهم وبأصنامهم التي يعبدونها ما يصك مسامعهم، ويوضح عجزهم وعدم قدرتهم على شيء[٤].

---

(١) التفسير البسيط (١١/ ٤٤٦)، وانظر: زاد المسير (٢/ ٣٨٠).

(٢) التفسير البسيط (١١/ ٤٤٧)، وانظر: تفسير القرطبي (١١/ ١٤٣)، وزاد المسير (٢/ ٣٨٠).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ٣٧٣).

(٤) انظر: تفسير السمعاني (٢/ ٤٣٦).، وتفسير الشوكاني (٢/ ٥٧٣).

وقوله: ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ قال الطبري: «يقول: ثم لا تؤخروا ذلك، فانظروا هل تنالونني أنتم وهم بما زعمتم أن آلهتكم نالتني به من السوء؟»[١].

٣-التصريح بتوكله على الله تعالى الذي خلقه وخلقهم، إذ إن من توكل عليه كفاه وحفظه.

٤-ثم ذكر علة توكله على الله عَزَّوَجَلَّ وعدم مبالاته بالخلق[٢]، وهي أنه متصرف في الكون وحده، حتى تلك الأصنام التي تخوفون الناس بها لا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًّا، وهي مقهورة تحت تصرف الله تعالى، وإنما خص بالأخذ (الناصية) دون سائر أماكن الجسد؛ لأن العرب كانت تستعمل ذلك في وصفها من وصفته بالذلة والخضوع[٣].

٥-حسن ظنه بربه تبارك وتعالى، ووثوقه به، إذ إنه حافظه من كيد أعدائه، قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولهذا بين هود عليه الصلاة والسلام أنه واثق غاية الوثوق أنه لا يصيبه منهم ولا من آلهتهم أذى، فقال: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا﴾ أي: اطلبوا لي الضرر كلكم بكل طريق تتمكنون بها مني ﴿ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ أي: لا تمهلوني»[٤].

---

(١) تفسير الطبري (٧/ ٥٨).

(٢) انظر: التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي (١/ ٣٧٣).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٦٠).

(٤) تفسير السعدي (ص/ ٣٨٤).

-وعندما خوفوا النبي ﷺ من آلهتهم التي يعبدون؛ بين الله عَزَّوَجَلَّ أنه كافي نبيه من كل شر، يقول جل وعلا: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٣٦].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ويخوفك هؤلاء المشركون يا محمد بالذين من دون الله من الأوثان والآلهة أن تصيبك بسوء ببراءتك منها وعيبك لها والله كافيك ذلك»[١]، ثم قال تعالى: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴾ أي: «منيع الجناب لا يضام، من استند إلى جنابه ولجأ إلى بابه، فإنه العزيز الذي لا أعز منه، ولا أشد انتقاما منه، ممن كفر به وأشرك وعاند رسوله ﷺ»[٢].

ثم بين الله تعالى بعد هذا أن المشركين يقرون بربوبية الله تعالى، وأنه إن أراد بهم ضرًّا فإن تلك المعبودات لا تدفعها عنهم، وإن أراد بهم رحمة فلا يمسكونها دونه، ثم أمر النبي ﷺ بأن يتوكل عليه وحده، فقال جل وعلا: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨].

أي: أن الله تعالى هو حسبي وحده لا شريك له، إليه أفزع في أموري كلها دون ما سواه، فإنه الكافي، وبيده الضر والنفع، لا إلى الأصنام والأوثان التي

---

(١) تفسير الطبري (١١/ ٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ١٠٠).

لا تضر ولا تنفع، فليتوكل عليه من هو متوكل وبه فليثق لا بغيره[١]، كما أن في هذا حجة عليهم في أن تلك الأصنام والأوثان إذا كانت كذلك فكيف يخوفونك بها وهي مخلوقة وأنت رسول الله، والله هو الذي خلقها وخلق السماوات والأرض؟[٢]، قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ عن ذلك فسكتوا، فقال الله تعالى لرسول ﷺ: قل: (حسبي الله): ثقتي به واعتمادي عليه، (عليه يتوكل المتوكلون): يثق به الواثقون[٣].

وتأمل وصف الله تعالى نبيَّه ﷺ بالعبودية وإضافته إلى ضمير الجلالة في مطلع تلك الآيات: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾، ستجد أنها تحمل كفالة الله تعالى له ونصره إياه من كل شر يريده أعداؤه، من أجل أنه وحد الله تعالى، وهذا معنى عظيم، فقد شرفه بهذه الإضافة التي تقتضي أنه غير مسلِّمه إلى أعدائه[٤].

وهاهنا فائدة جليلة؛ وهي أنه من بديع صنيع الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه التوحيد أنه أورد الباب المتعلق بالتوكل وهو باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣] عقب الباب المتعلق بالخوف وهو باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ

(١) انظر: تفسير الطبري (١١/ ٨) بتصرف.
(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٨١-٢٨٢).
(٣) تفسير البغوي (٤/ ٧٠).
(٤) انظر: التحرير والتنوير (٢٤/ ١٣)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٦/ ٥٠٩).

يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٧٥]؛ وذلك أن الإنسان إذا أفرد الله سبحانه وتعالى بالخوف فإنه يعتمد عليه في حصول مطلوبه وزوال مكروبه، ولا يعتمد على غيره، ومن طرأ على قلبه شيء من هذا الخوف؛ فليُزِلْه بالتوكل، وكذلك فإن الخائف محتاج إلى ملاذ يصير إليه، ولا يكون هذا إلا بالله جل وعلا، وكلما زاد خوفه من ربه جل وعلا زاد توكله بقدر ذلك، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مناسبة هذا الباب لما قبله: هي أن الإنسان إذا أفرد الله سبحانه بالتوكل؛ فإنه يعتمد عليه في حصول مطلوبه وزوال مكروهه، ولا يعتمد على غيره»[1].

المطلب الرابع

النظر في سيرة الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين

إن المتأمل فيما قصه الله تعالى علينا من سير الأنبياء والمرسلين -وقد ذكرت طرفًا منها- ليجد قدوة حسنة له في إخلاص العبادة لله تعالى وعدم الخوف من غيره من المعبودات، وقد حفظهم الله تعالى من كيد أعدائهم، بل وظهرت حجتهم على الخلق حيث لم تصبهم تلك المعبودات كما يزعم أصحابها.

فإن هذا هو القصص الحق الذي تكلم الله تعالى به، لا ما يورده أهل البدع من القصص الباطلة والحكايات الملفقة كما سبق.

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ٨٧)، وانظر: القول السديد في مقاصد التوحيد (٣/ ٣٥- ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي).

هذا وليعلم أن لعباد القبور في هذا العصر شبهة يوردونها على عامة الناس، وهي أنه عند خوفهم من المعبود والتجائهم إليه يحصل مقصودهم، وينسبون ما حصل لهم إليه، ووجد هناك من لم يعتقد بأصحاب القبور ولم يخف منها؛ فحصل له الضرر بسبب سبه إياها أو عدم الاعتقاد بها أو عدم التقرب إليها.

والجواب عن هذا أن يقال:

-إن النصوص الواردة في هذا الباب كلها صريحة الدلالة على أن من اعتقد في تلك المعبودات النفع والضر فخافها دون الله تعالى خوف سر؛ فإنه مشرك به الشرك الأكبر.

-وعامة ما يذكره هؤلاء من المنافع المحصّلة لهم إنما هو من الكذب المحض، بل يستجاب لهم في النادر، فإن الكثير منهم يدعون ما شاء الله من الدعوات فيستجاب له في واحدة، ويدعو خلق كثير منهم فيستجاب للواحد بعد الواحد، مع ضعف التوحيد وذهاب حلاوة الإيمان، وإنه لا يكاد يبارك له في حاجته، وأين هذا ممن أخلص لله تعالى في عبادته وخاف من ربه دون ما سواه، فيتحرى الدعاء في السحر وفي السجود وأدبار الصلوات وفي بيوت الله؟ فإن هؤلاء لا تكاد تسقط لهم دعوة إلا لمانع[1].

-وعند خوف العبد من مقدّسه الباطل والتجائه إليه، وحصول مقصوده له؛ فإن هذا لا يعني صحة فعله، بل يحصل مثل هذا عند المشركين، بل

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٩٥-٦٩٦).

حتى للنصارى، فإن كان هذا وحده دليلًا على أن الله يرضى ذلك ويحبه؛ فليطرد الدليل، وليقل بصحة فعل هؤلاء جميعا[١].

-ثم إنه كما تقدم فإن الشياطين زينت لكثير من الناس هذا الأمر، وأعانتهم، فظهرت في صورة أصحاب القبور، وخاطبت الناس، وفتنتهم عن دينهم.

-وقد يشاء الله تعالى أن يصيب عبدًا بشيء له الحكمة البالغة جل وعلا لا تلك المعبودات، كما قال تعالى عن إبراهيم الخليل: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، قال ابن عادل الدمشقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنما ذكر عليه الصلاة والسلام هذا الاستثناء؛ لأنه لا يبعد أن يحدث للإنسان في مستقبل عمره شيء من المكاره، والحَمْقَى من الناس يحملون ذلك على أنه إنما حَدَثَ ذلك المكروه بسبب أنه طَعَنَ في إلهية الأصنام، فذكر إبراهيم عليه الصلاة والسلام ذلك حتى إنَّهُ لو حَدَثَ به شيء من المكاره لم يحمل على هذا السبب.. »[٢].

- ثم إن الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ لم يصبهم أذى تلك المعبودات إطلاقًا، بل حفظهم الله تعالى من كل شر، كما في قصة إبراهيم وهود ومحمد صلى الله عليهم وسلم.

- وكذا السلف والأئمة على مر العصور يدعون إلى عبادة الله وحده، ونبذ كل ما يعبد من دونه، بل هدموا تلك الأصنام ولم يصبهم شيء، فالنبي ﷺ

(١) انظر كلاما مهما لشيخ الإسلام حول هذا في: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٩٤).
(٢) اللباب في علوم الكتاب (٨/ ٢٥٦).

بعث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الصنم المعروف مناة فهدمها وأخذ ما كان لها، وبعث المغيرةَ بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اللات فهدمها وحرقها بالنار، وبعث خالد بن الوليد إلى العزى –وهي أعظم صنم تعبده قريش– فعضدها، وبعث جرير بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى ذي الخلصة، فهدمه وأضرم فيه النار فحرقه[١].

قال قتادة: بعث رسول الله ﷺ خالدَ بن الوليد إلى شعب بِسُقام ليكسر العزّى، فقال سادنها –وهو قيّمها–: يا خالد أنا أحذركها، إن لها شدة لا يقوم إليها شيء، فمشى إليها خالد بالفأس فهشم أنفها[٢].

ومن أمثل القصص التي فيها عبرة وعظة؛ قصة صحابية جليلة متقدمة في الإسلام، وهي زِنِّيرة الرومية، التي أعتقها أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فعن هشام بن عروة عن أبيه قال: ذهب بصر الزنيرة وكانت ممن تُعَذَّب في الله عَزَّ وَجَلَّ على الإسلام، فتأبى إلا الإسلام، فقال المشركون: ما أصاب بصرَها إلا اللات والعزى، فقالت: كلا والله ما هو كذلك. فردَّ الله عليها بصرها[٣]، وفي رواية: (ما تضرُّ اللات والعزى وما تنفعان)[٤]، وفي رواية: (أنا أكفر باللات والعزى)[٥].

وكذا قصة الطفيل بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع زوجته أنه لما أسلم قال لها:

---

(١) انظر: كتاب الأصنام للكلبي (ص/ ١٥، ١٧، ٢٤، ٣٦).

(٢) أخرجها الطبري في تفسيره (١١/ ٧).

(٣) أخرجها ابن إسحق في السيرة (ص/ ١٧١)، وانظر سيرة ابن هشام (١/ ٣٤٠-٣٤١).

(٤) سيرة ابن هشام (١/ ٣٤١)، والإصابة في تمييز الصحابة (١٣/ ٤١٤).

(٥) الإصابة في تمييز الصحابة (١٣/ ٤١٣).

فاذهبي إلى حسي ذي الشرى فتطهري منه، وكان ذو الشرى صنم دوس، والحسي حمى له يحمونه، وبه وشل من ماء يهبط من الجبل، فقالت: بأبي أنت أتخاف على الصبية من ذي الشرى شيئًا؟ قال: لا، أنا ضامن لما أصابك، قال: فذهبت فاغتسلت، ثم جاءت، فعرض عليها الإسلام، فأسلمت[١].

وهكذا سار السلف والعلماء عند هدمهم للنصب والقباب على القبور؛ فإن وصف هذا يطول حيث لم تصبهم تلك المعبودات بشر؛ إذ إنها لا تملك النفع والضر.

كل هذا يؤكد لهؤلاء الضلال أن هذه العبادة -وهي الخوف- لا يجوز صرفها لغير الله تبارك وتعالى.



(١) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٢٣٢).

الخاتمة

أحمد الله تبارك وتعالى على ما من به علي من إتمام هذا البحث وأسأل الله تعالى أن يكون حجة لي لا علي، وهنا أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها خلال البحث:

١- أن الخوف عبادة عظيمة يجب إخلاصها لله تعالى وأن كثيرًا من الأمم السابقة خالفت أنبياءها في هذه العبادة العظيمة، وكذلك وقع هذا في هذه الأمة؛ حيث خيف من الأموات والأحياء والطواغيت أن تصيب الناس بالضر.

٢- أن الخوف أنواع عديدة، منه ما هو محمود، ومنه ما هو جائز، ومنه ما هو محرم، ومنه ما هو شركي، وهو خوف السر الذي يخرج من الملة المحمدية.

٣- أن ضابط خوف السر هو إما اعتقاد استقلالية المعبود دون الله بالنفع والضر أو عن طريق ما يهبه الله تعالى له من الكرامة التي يصيب بها الناس كما يزعم عباد القبور.

٤- لا فرق في هذا الخوف الشركي بين خوف الأصنام والأوثان والطواغيت، وبين خوف من يعتقد فيهم الولاية والصلاح، إذ الكل فيه صرف العبادة لغير الله جل وعلا.

٥- كثير من مشركي زماننا يخاف ممن يعتقد فيه الولاية أعظم من خوف الله تعالى، ومن مظاهر هذا أنه يحلف بالله كاذبًا ولا يجرأ على ذلك

مع معظَّمه.

٦- أن لخوف السر أضرارًا عديدة أهمها أن الله تعالى يكل العبد إلى من خافه واتقاه، وحصول الخوف والاضطراب، بالإضافة إلى عدم تحصيله لمطلوبه.

٧- حصول الفتنة من قبل الشيطان بتلك المعبودات، فكانت الأصنام والأوثان والضرائح وغيرها تخاطب الناس وقد يرون أصحابها بتمثل الشياطين بهم.

٨- استطاع كثير من أهل البدع أن يسحقوا التوحيد من قلوب الناس بإرهابهم من مقدَّسيهم بحبْك القصص والحكايات المكذوبة.

٩- أعظم علاج للخوف من المخلوقات هو معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته العلى، فمن عرفه بذلك حق المعرفة امتنع من أن يخاف خوف السر من أحد من الخلق.

١٠- إن التوكل على الله تعالى مانع من إيقاع الضرر بإذن الله ولذلك التجأ الأنبياء والمرسلون بالله تعالى وتوكلوا عليه عند تخويفهم فلم يصبهم شيء.

والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- الإخنائية، أو الرد على الإخنائي، تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني، تحقيق: أحمد بن مونس العنزي، دار الخراز، ط: الأولى، ١٤٢٠.

- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد، تأليف الشيخ د. صالح بن فوزان الفوزان، تحت إشراف الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، ط: الثانية، ١٤٢٧.

- الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، ط: الأولى، ١٤٢٩.

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تأليف الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٧.

- إعانة المستفيد شرح كتاب التوحيد، للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤٢٣.

- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تأليف الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠٨.

- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تأليف أحمد بن تيمية، تحقيق د. ناصر العقل، مكتبة الرشد-الرياض، ط: الخامسة، ١٤١٧.
- البحر المحيط في التفسير، تأليف أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي، تحقيق صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠.
- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، تحقيق محمد بن إبراهيم الزغلي، دار المعالي-عمّان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠.
- تجريد التوحيد المفيد، تأليف الإمام العلامة أحمد بن علي المقريزي المصري الشافعي، اعتنى به علي محمد العمران، دار عالم الفوائد، ط: الثانية، ١٤٢٤.
- التحرير والتنوير من التفسير، تأليف:
محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي.
- التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: أبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد ابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق عبدالله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم -بيروت، ط: الأولى، ١٤١٦.
- تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تحقيق وتعليق الرحالة الفاروق عبدالله بن إبراهيم الأنصاري وغيره، وزارة الأوقاف في قطر، دار الخير، ط: الثانية، ١٤٢٨.

• التفسير البسيط، تأليف أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري الشافعي، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود.

• تفسير البغوي (معالم التنزيل) للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: الأولى، ١٤١٤.

• تفسير السمعاني (تفسير القرآن)، للإمام أبي المظفر السمعاني، تحقيق أبي تميم ياسر، وأبي بلال غنيم بن عباس، دار الوطن-الرياض، ط: الأولى، ١٤١٨.

• تفسير الطبري، (جامع البيان في تأويل القرآن)، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: الثالثة، ١٤٢٠.

• تفسير القرآن العزيز، لابن أبي زمنين، تحقيق أبي عبدالله حسين بن عكاشة، ومحمد الكنز، الفاروق الحديثة-القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٣.

• تفسير القرآن العظيم، تأليف الإمام عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، تحقيق: مصطفي السيد محمد وآخرون، دار عالم الكتب، ط: الأولى، ١٤٢٥.

• تلخيص كتاب الاستغاثة المعروف بالرد على البكري. لشيخ الإسلام ابن تيمية. تحقيق: أبي عبدالرحمن محمد بن علي عجال. مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية. ط الأولى ١٤١٧هـ.

• التمهيد لشرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، دروس

ألقاها صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ، دار التوحيد، ط: الأولى، ١٤٢٣.

- تنبيه هام على كذب الوصية المنسوبة للشيخ أحمد خادم الحرم النبوي الشريف للشيخ ابن باز –ضمن أربع رسائل في التحذير من البدع.
- تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبدالرحمن اللويحق، دار السلام–الرياض، ط: الثانية، ١٤٢٢.
- جامع الترمذي، إشراف ومراجعة الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دار السلام–الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٠.
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تأليف: أبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٧.
- الجامع لشعب الإيمان، تأليف: الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د. عبدالعلي عبدالحميد حامد، وزارة الأوقاف – قطر، الدار السلفية – الهند، ١٤٢٩.
- حاشية كتاب التوحيد، بقلم عبدالرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي

النجدي، ط: الرابعة، ١٤١٤.

- الدر النضيد على أبواب التوحيد، تأليف الشيخ سليمان بن عبدالرحمن الحمدان، دار الصميعي، ط: الأولى، ١٤٢٤.

- درء تعارض العقل والنقل (موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول)، تأليف ابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود.

- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، مجموعة رسائل ومسائل علماء نجد الأعلام، من عصر الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عصرنا هذا، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، ط: الخامسة، ١٤١٤.

- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف:

عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. المكتب الإسلامي – بيروت. الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

- سنن الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر – بيروت، بدون سنة طبع.

- سيرة ابن إسحق (كتاب المبدأ والمبعث والمغازي)، تأليف محمد بن إسحق بن يسار، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات و الأبحاث للتعريب.

- سيرة النبي ﷺ لأبي محمد عبدالملك بن هشام، تحقيق محمد محي

الدين عبدالحميد، مكتبة دار التراث – القاهرة.

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- شرح ثلاثة الأصول، تأليف الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، تحقيق علي بن صالح المري وأحمد بن عبدالعزيز بن باز، دار المسير، ط: الأولى، ١٤١٨.
- شرح ثلاثة الأصول، تأليف الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، ط: الرابعة، ١٤٢٤.
- شرح فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، شرح معالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، مكتبة دار الحجاز، ط: الأولى، ١٤٣٣.
- صحيح البخاري، للإمام أبي عبدالله محمد إسماعيل البخاري، دار السلام-الرياض، ط: الثانية، ١٤١٩.
- صحيح سنن الترمذي، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٠.
- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار السلام-الرياض، ط: الأولى، ١٤١٩.
- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تصنيف الشيخ الإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب، الشهير بابن قيم

الجوزية، تحقيق: د. علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة – الرياض، ط: الثالثة، ١٤١٨.

- طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، تحقيق أبي حفص سيد بن إبراهيم بن صادق بن عمران، دار الحديث – مصر، ١٩٩١.
- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، تأليف محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، تحقيق خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط: الثانية، ١٤٢٦.
- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط: الرابعة، ١٤١٤.
- فتاوى نور على الدرب، تأليف عبد العزيز بن عبد الله بن باز، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، وغيره، مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة، ط: الأولى، ١٤١٧.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للإمام محمد الشوكاني، تحقيق سيد إبراهيم، دار الحديث–القاهرة، ط: الأولى،

١٤١٦.

- فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ حامد بن محمد بن حسين، تحقيق: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار المؤيد، ط: الأولى، ١٤١٧.
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، دار الحديث – القاهرة، ١٤١٤.
- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، تأليف شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تحقيق د. عبدالرحمن بن عبدالكريم اليحيى، دار الفضيلة – الرياض، ط: الأولى، ١٤٢٠.
- الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، تأليف أبي العباس أحمد بن إدريس الصنهاجي القرافي، ضبطه وصححه خليل المنصور، دار الكتب العلمية –بيروت، ط: الأولى، ١٤١٨.
- الفوائد للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، تحقيق عامر بن علي ياسين، دار ابن خزيمة – الرياض، ط: الأولى، ١٤١٨.
- قاعدة عظيمة في الفرق بين عبادات أهل الإسلام والإيمان وعبادات أهل الشرك والنفاق، تأليف: تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، تحقيق: سليمان بن صالح الغصن، دار العاصمة – الرياض، ط: الثانية ١٤١٨.

- القول السديد في مقاصد التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، مركز صالح بن صالح الثقافي - عنيزة، ط: الثانية، ١٤١٢.
- القول المفيد على كتاب التوحيد، تأليف الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ط: الثانية، ١٤٢٤.
- كتاب الأصنام، تأليف: أبي المنذر هشام بن محمد أبي النضر بن السائب الكلبي، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط: الرابعة، ٢٠٠٠م.
- الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، تأليف أبي سليمان عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، الناشر: عبد العزيز ومحمد العبد الله الجميح، ط: الرابعة ١٤٢٠.
- كلمة الإخلاص وتحقيق معناها، تأليف: الحافظ ابن رجب الحنبلي، تحقيق زهير الشاويش، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط: الرابعة، ١٣٩٧.
- اللباب في علوم الكتاب، تأليف: الإمام المفسر عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق عادل أحمد عبدالموجود وغيره، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى، ١٤١٩.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر–بيروت، ط: الثالثة، ٢٠٠٤.

• مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية. جمع وترتيب: الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وولده محمد. طبع بإشراف الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين.

• مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تأليف محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية، تحقيق محمد البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة. ١٤١٦.

• المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية–بيروت، ط: الأولى، ١٤١١.

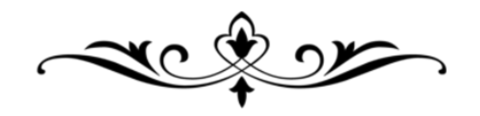
• مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثانية، ١٤٢٠.

• معاني القرآن، تأليف أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار السرور –بيروت، بدون سنة طبع.

• معجم مقاييس اللغة، تأليف أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر – بيروت، ١٣٩٩.

• مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة. للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية. قدم له: علي بن حسن بن علي الحلبي الأثري. دار ابن عفان ١٤١٦هـ.

- مفردات ألفاظ القرآن، تأليف العلامة الراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان داوودي، دار القلم-دمشق، ط: الثانية،١٤١٨.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تأليف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
- نكت القرآن الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام، تأليف: الإمام محمد بن علي الكرجي القصاب، تحقيق إبراهيم منصور الجنيدل وغيره، دار ابن عفان – القاهرة، ط: الأولى، ١٤٢٤.



فهرس الموضوعات

